

## مقدمة الطَّبعة السَّابعة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،  
حين كتبتُ هذا البحث لم أكن عالمًا ولا متوقعًا أن الله  
سيكتب له القبول والانتشار -بفضله سبحانه- حتى يصل لذلك  
العدد من الطبعات، ونظرًا لأهمية الموضوع وحيويته كان من  
واجب الأمانة تعديل ما جاء في الطبعات السابقة من هفوات  
ونقص، وإضافة بعض الأبواب وتعديل أخرى لتطوير البحث،  
راجيًا من الله أن يوفقني لالتماس سبيل الصواب.

كلما كبر الإنسان ازداد فهمًا وخبرةً وتجربةً، وقد مرَّت ثمانية  
أعوام منذ شروعي البدء في كتابة هذا البحث، وطيلة هذه الأعوام  
أعيد قراءته وأدوّن ما يحتاج من تطوير وأسمع إلى نصائح من  
يحوطنني من أصدقائي وأهلي ومن بعض العلماء والمشايخ الذين  
قابلتهم وجالستهم.

لما كتبت الطبعة الأولى كتبته وأنا متفرّج أشاهد من الخارج، فكنت حينها أعزبًا دون ابنتي الحبيبة «سارة»، ولكن الآن أكتب من داخل أرض المعركة مكتشفًا أن التنظير والكلام يختلف تمامًا عن التطبيق والفعل، فازددتُ لينا ورحمةً في خطابي مع الوالدين، رفقائي في أرض المعركة.

بالنسبة للجانب الكتابي فقد أدخلت بعض التعديلات في صياغة العبارات؛ حيث كانت هناك عبارات ضعيفة الصياغة، وعدّلت الأخطاء الإملائية والهفوات المطبعية، أما من الجانب العلمي فقد أضفت بابًا جديدًا إلى البحث وهو «أبناء الدعاة والقيادات»؛ حيث وجدت أنها فئة عليها من البلاء الضّعف مما يحمله «أبناء الملتزمين»، ووضعهم أحق بأن يُفرد لهم بابًا خاصًا، عدلت بعض أسماء الأبواب بما يجعلها أكثر تناسبًا مع محتواها، ونقلت بعض العناصر من أبواب إلى أبواب أخرى، ودعمت بعض الأبواب التي كانت تحتاج إلى إسهابٍ أكثر من ذلك.

أسأل الله العظيم أن يرزقني الإخلاص فيما كتبت، وأن يكتب له القبول والنفع، إنه ولي ذلك.

الدوحة - قطر

١١ يونيو ٢٠١٦ - ٦ رمضان ١٤٣٧

## مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله، ثم أما بعد:  
ظَهَرَتْ في الآونة الأخيرة مشكلة ملفتة، عانى وتكلّم عنها الكثير من أبناء التيار الإسلامي أو ما اصطلح عليه باسم «الملتزمين»، لا أكاد أقابل أحداً من داخل الوسط أو خارجه إلا ويُجزم بانتشارها وتكرار حدوثها، ألا وهي ظاهرة انحراف (أبناء الملتزمين)، أو بمعنى أدق ضعف مخرجات التربية لدى البيت الإسلامي -الحامل على عاتقه نصره الدين- متمثلة في الأبناء، وقد بحثتُ كثيراً في الكتب والمباحث التربوية لكن للأسف قلَّ مَنْ تناول هذه الظاهرة في كتابته أو توجيهِه، ولم أجد ما يشفي علاج ذلك الجرح الذي بدأ في النفسِ .

شُحَّ المادة التي تخدم علاج ذلك الجرح كان دافعاً لي للبحث في هذه المشكلة ودراستها بشكلٍ تحليليٍّ عبر تفكيك المشكلة، وتتبع أسبابها وبواعثها ووضع حلول عملية لكل سبب يفرز تلك

المشكلة، وقد حرصتُ كل الحرص أن أجري البحث على حالات واقعية ناتجة عن احتكاك سنوات بالعمل التربوي مع هذه الفئة على مستوى جميع الفصائل الإسلامية، أضف أنني ولدتُ في بيتٍ ملتزم، وكنت طيلة عمري محتكًا بأصدقاء من هذه الفئة، ودخلتُ بيوتَ الكثير منهم.

وقد استخدمت في هذا البحث كلمات ومصطلحات أعرف انها من الجدل بمكان كـ (الملتزمين)، و(التيار الإسلامي)، ولكن استخدمتها لكي نسهل الطرح والفهم، ونكتب بما اصطلح عليه الناس في زماننا، مع فهم المقصد بأن (الملتزم) هو من جعل شريعة الله طريقًا ومنهajaً لحياته والتزم بها، و(التيار الإسلامي) الذي يضم كل من جعل قضية نصره الدين وتحكيم شرعه هي أساس حياته وانطبعت عليه في أخلاقه وسمته وتفكيره، بالرغم تنوع المشارب والمنابع.

ولكن قبل أن نبدأ علينا أن نلفت نظر القارئ أن هذا البحث ليس به حلًا سحريًا سينجز المهمة التي أثقلت كاهله وشغلت حيزًا من تفكيره بمجرد انتهائه من قراءة الكتاب، فالأمر عبارة عن (لفت نظر) وتصحيح لبعض الخبرات التربوية الخاطئة التي ينتهجها

الملتزمون مع أبنائهم، وتسليط الأضواء على إرشادات ناجحة في طريق تربيتهم.

وقد يعتقد البعض أن «أبناء الملتزمين» فئة خاصة من البشر، وأن الكتاب به طريقة خاصة لتربيتهم فحسب، وهذا ظنٌّ في غير محله، فَهُم كبقية البشر يصلحهم ما يصلح غيرهم، ويفسدهم ما يفسد غيرهم، كما أن ما سنتناوله يصلح للملتزم وغير الملتزم -إن صحَّ التعبير- بل وغير المسلم من الأساس، ولكن تم التركيز بشكل أكبر على الفئة التي اختصَّها البحث وهي «أبناء الملتزمين»، سائلين الله ﷻ أن يصلح أعمالنا، ويتقبل منَّا، ويهدي أولاد المسلمين لما فيه خير الرشاد.

دمنهور - مصر

٢٠١٢ م - ١٤٣٣ هـ



## تمهيد

مع بداية الصحوة الإسلامية في السبعينيات والثمانينيات وانتشار الوعي والسمت الديني، وحين عزم هذا الجيل -جيل الصحوة- على الزواج ظننا -بل تيقنا- أنهم سيُخرجون للأمة الإسلامية جيل النصر والتمكين الذي على يده سيكون النصر للإسلام واستعادة أمجاده، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، فبالرغم من أن البعض وفقه الله في تحقيق الآمال في إخراج ثمرات يانعة كانت ذخرًا للدين ولوالديه، أخرج البعض الآخر ثمرات عكس التوقعات، جيلًا سلك سبلاً أخرى غير الالتزام بالشرع واتخذه منهاجًا، جيلًا ينطبق عليه قوله تعالى، والعياذ بالله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَكُرُوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]، جيلًا متمردًا على محاولات «توريث الالتزام» من قبل والديه رافعًا شعار «لن أعيش في جلباب أبي». وكلما طرقت هذا الباب مع أي فرد داخل (التيار الإسلامي)

أجده متألمًا متوجعًا منه، ووجدتُ الشكوى منه متكررة، فيبدو أننا نؤتى من قبله ولا نشعر، إنه داء ضعف المخرجات التربوية لبيوت التيار الإسلامي المتمثلة في أبنائهم أو ما اصطلح عليه بـ«أبناء الملتزمين» الذي ظن البعض يومًا أنهم من سيكونون إضافة ثمينة للصحة الإسلامية، ولكن وللأسف صاروا -أغلبهم- عبئًا ثقیلاً، وصاروا علامةً تعجبٍ كبيرة!

وتلك الظاهرة لها العديد من الأوجه والدرجات؛ فأبناء الملتزمين منهم:

- ١- ملتزمٌ التزامًا شخصيًا دون أي جهد دعوي يفعله.
- ٢- يكتفي بأداء الفرائض مع التساهل فيما يتساهل فيه كثير من الناس من المعاصي والمخالفات.
- ٣- البعض تستهويه تيارات فكرية أخرى، غير إسلامية، تجذبه إليه فيأتي الانحراف بشكلٍ فكريٍّ، حتى الوصول إلى شبهات الإلحاد.
- ٤- مقتنع بالالتزام بالشرع وضرورة تطبيقه ولكن يصعب عليه التطبيق.
- ٥- غير مقتنع بالالتزام ولا بتطبيق الشرع، مع الوصول إلى دركات منحطة من الولوج في الشبهات والشهوات.

ومن هنا يأتي السؤال . .

ما سبب هذا الداء الذي دبَّ في بيوت الملتزمين؟!، ولماذا  
لم يخرج من أصلاهم الجيل المنشود؟!،

ومن السبب في خروج هذه الأمثلة من الأبناء؟!،

وقبل الدخول في تشريح المشكلة وتحليل أسبابها وطرح سبل  
العلاج يجب أن نمرَّ مرورًا سريعًا على بعض التعريفات والإشارات  
الرئيسة في أمر التربية . .

○ أولاً: **تعريف التربية:**

«هي مجموعة المعلومات والخبرات التي نحتاج إليها في  
طرق تهذيب الأبناء وتنشئتهم النشأة الصالحة، وفي التعامل مع  
مشكلاتهم وأخطائهم . . وأيضًا هي عملية معقَّدة جدًّا، تتطلب  
قدرًا من المعرفة والحكمة، وقدرًا جيّدًا من الاتزان الانفعالي لدى  
المُربي، إلى جانب قدرٍ من الخبرة والممارسة العملية»، القواعد  
العشر، عبد الكريم بكار ص ٨.

فالتربية تنوّعت تعريفاتها وكثرت توصفاتها، ولكن اتَّفَق جميع  
من عرّفوها أنها: (محاولة ضبط السلوك الإنساني تجاه حصيلة  
المُعطيات التي تحدث بحياة الفرد، من أجل الحصول على  
«الإنسان الصالح»).

## ○ ثانيًا: تربية الأولاد فرض أم سنة!؟

تربية الأولاد فرض، وهو أمر من الله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: ٦]، وهذا أمر من المولى ﷺ بوقاية النفس والأهل من النار، وذلك لا يتأتى إلا بالتوجيه والتربية، فالمفروض في تربية أولاده آثم، لقول رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>، فتربية الأولاد فرض، وليست سنةً أو عملاً مستحباً، كما أن الأولاد أمانة في رقبة الوالدين وقد أمرنا بحفظ الأمانات وعدم خيانتها، وقد قال ﷺ: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

## ○ ثالثًا: أنواع الهداية:

الهداية الفطرية: وهي الهداية بالفطرة التي فطر الله تعالى عليها كل الناس، والتي تتضح في قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشبهه فيها غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه لما خلقه من الأعمال، وكذلك لكل عضو

(١) البخاري (٥٢٠٠)، ومسلم (١٨٢٩).

هداية تليق به، فهدي الرجلين للمشي، واللسان للكلام، والعين لكشف المرئيات، وهلم جرًا. وكذلك هدي الزوجين من كل حيوان إلى الأزواج والتناسل وتربية الولد، والولد إلى التقام الثدي عند وضعه، وهي الهداية التي قال عنها ﷺ: «كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه»<sup>(١)</sup>.

هداية إرشاد ودلالة: وهي الهداية عن طريق «الإرشاد»، وهو الجهد المبذول من النبيين والمرسلين مع المدعوين؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وأيضًا هو الجهد المبذول من الآباء والمربين مع الأبناء (التربية) لتحقيق المستوى الأعلى من هداية الإرشاد وهي هداية التوفيق، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، أي أوضح الله للإنسان طريقي الخير والشر، فبين الله لهم طريق الشرك والمعاصي، وطريق التوحيد والعبادات، ودعاهم إليه عن طريق الرُّسل والدعاة، فإن اختار الإنسان الهداية يهديه الله تعالى الهداية التالية وهي الهداية التوفيقية.

---

(١) البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

هداية توفيقية: وهي مستوى هداية أعلى من هداية الإرشاد والدلالة؛ لأنها من الله، وهي تحدث بالاصطفاء من الله لأنه يعلم السر وأخفى، فسبحانه القائل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال أيضاً: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقال أيضاً على لسان نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَصْحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فالجهد التربوي يندرج تحت هداية الإرشاد والدلالة لما فيها من توجيه وتعديل للسلوك وأخذ بالأسباب للوصول إلى هداية التوفيق، وهنا نلفت الأنظار إلى أن من الأبناء من يُرزق هداية التوفيق بالرغم من رداءة الجهد التربوي المبذول من الوالدين أو فسادهم، وهناك العكس، وهناك أمثلة كثيرة مثل عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أبي بن سلول عمرو بن العاص وغيرهم الكثير ممن يُثبتون أن الهداية التوفيقية هي محض توفيق من الله، وعلى العكس يبذل مجهود تربوي كبير ولكن لا تتحقق هداية التوفيق من الله، وهذا مثاله واضح في غلام سورة الكهف الذي

كان أبواه مؤمنين وقتله الخضر من أجل ألا يرهقهما طغياناً وكفرًا، وفي هذه الحالة على الوالدين التضرع إلى الله بالدعاء ومراجعة أسلوب الدلالة والإرشاد فمن الممكن أن يكون به بعض الأخطاء التي لم توجب تلك الهداية المنشودة.

#### ○ رابعاً: خريطة ذهنية:

وسوف نستعرض بإذن الله أسباب وبيوعات مشكلتنا بشكلٍ تحليليٍّ، وسيشمل العنصر تفصيلاً للمشكلة وعلاجها، وسيكون ترتيبها كالتالي:

- ١- الاختلال الأسري.
- ٢- اختلال النية.
- ٣- عدم الالتزام بهديه ﷺ.
- ٤- الأمية التربوية.
- ٥- إهمال التربية العقديّة المبكرة.
- ٦- إهمال التربية النفسية.
- ٧- غياب الإقناع والحوار.
- ٨- القسوة.
- ٩- القدوة.

١٠- البيئـة المحيطة .

١١- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ .

١٢- أبناء الدعاة والقيادات .



## الاختلالُ الأسريُّ

العملية التربوية عملية مشتركة بين الأبوين ونجاحها مرهون بالتعاون الناجح بين الشريكين، فلا يصلح أن يكون لكل من الأبوين خطة أو هدف لمفرده في تربية الأبناء دون إشراك الطرف الآخر، لأنه بهذا يعرض المنتج (الأبناء) للفشل، فلو أن شركة لها مديران متحكمان في أمر المنتج، ولكل واحد منهما هدف ورؤية للمنتج غير الآخر، هل ستنجح هذه الشركة في إخراج منتج ناجح؟! أم سيبوء منتجها بالفشل؟! وقد قال الله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فكما أن المشرك الذي يعبد آلهة شتى سيصيبه التشتت بسبب التنازع والاختلاف، سيصيب المنتج التربوي التشتت والانحراف.

ومن أحد أسباب انحراف أبناء الملتزمين هي الاختلال الأسري وعدم الاتفاق بين الوالدين خاصة إذا كان من له قوامة البيت (الأب) غير ملتزم.

ومن أسباب هذا الخلل :

### ○ ١- عدم الاتفاق في الهدف:

وهي عدم اتفاق الزوجين على رؤية واحدة في تربية الأبناء من حيث الجانب الديني (الالتزام)، فحين يحرص طرف كل الحرص على التزام أبنائه، تجد الطرف الآخر غير مهتم، يهدم ما بينه الطرف الحريص، وللأسف هذا الطرف يكافح كفاح الخمسين في المائة، لك أن تتخيل أن الأسرة التي هي المدرسة الأولى لتعليم المبادئ والقيم، والمسؤولة عن بناء شخصية وعقلية وأفكار المشخص متضاربة، والوالدان فيها مختلفان، فكيف ستكون المخرجات.

هذا المثال يتضح في امرأة نوح حين كانت السبب في هلاك ابنها وأثرت عليه بتربيته على غير ما جاء به سيدنا نوح عليه السلام وهلك مع القوم الكافرين، أضف أن الولد إذا شعر بعدم اتفاق والديه وأدرك ثغرات عدم الاتفاق من الممكن أن يستغل تلك الثغرات للتفلت من الأوامر وارتكاب النواهي.

### ○ ٢- تفاوت درجة الالتزام:

وتتضح تلك الصورة حين تجد الأب ملتزمًا بشرائع الله

ويحمل همّ الدين، وتجد التزام الأم دون المستوى، أو العكس، وضعف مستوى الالتزام يتمثل في التفریط في الطاعات وارتكاب المعاصي والنواهي كمشاهدة الأفلام والمسلسلات، مما يجعل هذا الأمر أمرًا عاديًّا عند الطفل، أو إهمال التربية العقديّة والإيمانية للطفل من الأساس.

ولكي نضع أيدينا على العلاج لا بدّ من معرفة مكمّن الداء، وهو عدم الاختيار الصائب للزوجة أو الزوج؛ فالنبي ﷺ جعل المعيار الأساسي هو الدين فقال ﷺ: «تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ»<sup>(١)</sup>، وهذا ليس معناه إهمال الجمال وحسن النسب، ولكن جعل معيار الدين سابقًا لتلك الصفات، وقال ﷺ أيضًا: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرَضَّوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفَعَّلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»<sup>(٢)</sup>.

فلماذا حرص النبي ﷺ كل هذا الحرص على أن يكون الدين هو المعيار الرئيس للاختيار؟!؛ لأنه يحرص على إقامة عملية تربية ناجحة ومتوازنة، لا أن يبني شخصًا ويهدم آخر، فحين يكون

(١) البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) «صحيح الجامع»، الألباني (٢٧٠).

الأب والأم على نفس مستوى الالتزام بشريعة الله وسنة رسوله ﷺ تجد البناء مكملاً، وعلى سبيل المثال عندما توافرت الظروف التربوية السليمة لسيدنا إسماعيل في أسرة يدفع فيها الأب والأم في إتجاه واحد نشأ نشأة صالحة أوصلته إلى طاعة والده في أمر ذبحه؛ لأنه امتثال لأمر الله، ولا ننس أن لكل قاعدة شواذ.

أما المتزوجون فعليهم بالاتفاق على خطوط مشتركة في تربية الأبناء، حيث إن مسؤولية التربية تقع على عاتقهما وليست لأحد دون الآخر، ونلفت النظر إلى أنه من غير المتوقع أن يكون هناك اتفاق دائم بين الزوجين حول كيفية التعامل مع الأبناء، ومن الطبيعي أن يختلف الزوجان، ولكن المهم أن يصلا لأرضية مشتركة وخطوط عامة.

«وقد تبين علمياً أن اتفاق الوالدين ووحدهما في الفكر يؤثر إيجابياً في مستقبل الأبناء . . ومن جهة أخرى فإن وحدة الفكر لدى الوالدين تؤثر في طريقة تربية الأبناء والتنسيق بينهما بهذا الشأن، فإذا أصرَّ أحدهما على أمر فعلى الآخر ألا يناقضه، بل يجب أن تكون الأوامر مدروسة بينهما سلفاً، حتى يشعر الأطفال بأن الأبوين ينهجان سياسة تربوية واحدة»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ١١٥.

هكذا الاتفاق:

عندما سمع أبو الدحداح الأنصاري رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فسأل رسول الله: الله يستقرضنا؟ فيرد المرابي العظيم صلى الله عليه وسلم: «نعم يا أبا الدحداح»، فيقول رضي الله عنه: أرني يدك يا رسول الله فإنني أقرضت ربي حائطي. وحائطه ذلك يومئذ من أجمل بساتين المدينة، وأحب ماله إلى قلبه، فيذهب إلى حائطه وينادي على زوجته: أن أخرجي يا أم الدحداح، فقد أقرضت ربي حائطي، فتعمد الزوجة الصالحة إلى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم من ثمر البستان وهي ترد على زوجها: «ريح البيع أبا الدحداح، ربح البيع أبا الدحداح»، فيبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَمْ مِنْ عَذْقٍ رَدَّاحٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>. والشاهد هنا تعاون الزوجة مع زوجها في الطاعة وتربية الأبناء على البذل والعطاء، فما أن جاءها زوجها وقال لها: اخرجي فقد أقرضت ربي حائطي، فقالت وهي تكمل البناء التربوي: ربح البيع أبا الدحداح، وزينت البناء وهي تنفض ما في

(١) «مسند الإمام أحمد» (١٢٤٨٢).

أكمامها وتخرج ما في أفواه أطفالها من ثمر البستان، فتخيّل معي موقف أولاد أبي الدحداح إن اختلفت أمهم مع أبيهم في موقفه المليء بالبذل والتضحية، تخيّل مدى التضارب والتشتيت الذي سيعيشون فيه بسبب اختلاف منبعي استقاء المبادئ!

### دور الجينات:

حسن اختيار الصفات من المعايير التي حددها رسول الله في أمر اختيار الزوج أو الزوجة فقد قال ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُظْفِكُمْ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَاسٌ»<sup>(١)</sup>، أو ما يسمى الآن بالعوامل الوراثية أو «الجينات»، فالتعبير بلفظ دساس تشير إلى انتقال الصفات والأخلاق من الآباء إلى الأبناء، ويؤيد ذلك ما جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل من بني فزارة إلى النبي ﷺ، فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟»، قال: نعم، قال: «فَمَا أَلْوَانُهَا؟»، قال: حمر، قال: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟»، قال: إن فيها لَوُرْقًا، قال: «فَأَنْتَى أَتَاهَا ذَلِكَ؟»، قال: عسى أن يكون نزع عرق، قال: «وَهَذَا عَسَى أَنْ يَكُونَ نَزَعُهُ عِرْقٌ»<sup>(٢)</sup> وعليه فقد دعا الإسلام إلى الاختيار الجيد في الصفات والأخلاق تحسینًا للنسل.

(١) «صحيح الجامع»، الألباني (٢٩٢٨).

(٢) مسلم (١٥٠٠).

«وقد أثبت علماء الأحياء أن بالخلية خيوطًا اسمها الصبغيات أو الكروموسومات، وأن هذه الخيوط يمكن تقسيمها إلى مناطق متعددة وافترضوا على ضوء الحقائق العلمية أن على كل منطقة منها ما يسمى بالجينات، وأثبت علماء الوراثة أن هذه الجينات هي حوامل الاستعدادات الوراثية، فالخلية الناتجة بعد التلقيح تحمل كروموسومات جينات بعضها من ناحية الأم وجينات بعضها من ناحية الأب، ثم تبدأ الخلية تتكاثر مكونة الجنين».

أيضًا حثَّ الإسلام، اجتنابًا للأمراض والعيوب الوراثية، الابتعاد عن الزواج من ذي القرابة الشديدة، فقد قيل: «اغتربوا ولا تضووا» أي لا تضعفوا النسل.

فيحذ عند الاختيار أن يُراعى هذا الجانب ودوره في تكوين صفات وأخلاق الأبناء؛ فإن له نصيبًا وافرًا في تشكيل السلوك والصفات<sup>(١)</sup>.

وهنا نتعرض لمسألة جدلية هل الأخلاق فطرية أم مكتسبة؟! اتَّجه بعض العلماء إلى أن الأخلاق هي موروث جيني فطري يُكتسب من الوالدين، واتَّجه البعض الآخر إلى أنها مكتسبة،

---

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك»، مصطفى محمد الطحان ص ١١٩.

يكتسبها الإنسان من بيئته الاجتماعية خلال عملية التنشئة، والواقع أن الأخلاق واقعة بين الاكتساب والفطرة، فالنبي ﷺ قال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>، فجمع بين الفطرة التي هي موجودة من الأساس بقوله: «مكارم الأخلاق»، والاكتساب بقوله: «لأتمم»، وفي حديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»<sup>(٢)</sup>، جمع بين الفطرة في قوله: «على الفطرة»، والاكتساب في قوله: «يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»، فالأصل في الأخلاق أنها خليط بين الفطرة والاكتساب، ووصية النبي ﷺ: «تخيروا لنطفكم» هي دليل واضح على أن الجينات الوراثية لها أثر وأحاديثه الأخرى التي حثت على التوجيه وتقويم السلوك وممارسة هداية الإرشاد والدلالة دلّت على أن الاكتساب أيضًا له أثر.




---

(١) البيهقي (٢٠٧٨٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، ونصه: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٦٤/١): صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

## اختلالُ النِّيَّةِ

يقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ»<sup>(١)</sup>، وفي هذا الحديث يوضح وجوب إخلاص النوايا في جميع العبادات والأعمال لأنه أخبر أنه لا يخلُصُ للعبد من عمله إلا ما نوى، فإن ابتغى بعمله الله والدار الآخرة، كتب الله له الثواب والأجر، وأجزل له العطاء في الدنيا قبل الآخرة، وإن أراد به السُّمعة والرِّياء، فقد حَيَّطَ عمله، وفسد عمله، فما كان لله دام واتَّصل وما لغير الله انفصل.

وعلى هذا المعيار يرزق الله الزوجين على قدر نيَّتهما وقت اللقاء للإنجاب؛ لأن من الأسباب المهمة في فساد الأبناء اختلال النية في انجابهم!! . . فكم من الناس ينجب لكي يسلم من نظرات الناس؟!، وكم منهم من أنجب لكي يحفظ ثروته وأعماله من بعده؟!، وكم من أنجب لأنه رأى الناس تنجب فأنجب مثلهم؟!،

---

(١) البخاري (١).

والنوايا المختلفة ما أكثرها، والله يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ  
 الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي  
 الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾، فمن يبتغي حراث الدنيا بإنجابه لأولاده يعطيه  
 الله قدر ما نواه، أما من نوى بإنجابه الآخرة وكانت نيته خالصة لله  
 يبارك الله له في حرقته ويقويه ويعينه على ما هو بصدده.

وقد عرف العلماء الإخلاص بتصفية العمل بصالح النية من  
 جميع شوائب الشرك، يُقال: خلص الشيء، بالفتح خلوصاً أي  
 صار خالصاً، وسوف نستعرض مثالين كشواهد لنرى إكرام الله لمن  
 صلحت نيته، ودور النية الطيبة في استقامة الأبناء، وقد علق  
 ابن القيم قائلاً على فضل النية الصالحة: (على قدر صلاح النوايا  
 تأتي العطايا)، يقول سبحانه: ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ  
 خَيْرًا﴾.

### ○ مثال امرأة عمران<sup>(١)</sup>:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ  
 مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ  
 أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ

(١) «النية في إنجاب الذرية» محمد حسين يعقوب.

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا  
 حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ  
 يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ  
 حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٧].

### ○ النِّيَّةُ:

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ﴾: «نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة  
 بيت المقدس»<sup>(١)</sup>.

﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾: أي ليس الذكر  
 كالأنثى في القوة والعبادة والجلد في خدمة المسجد الأقصى، كما  
 أنها تريد أن تهب الله أحسن شيء.

﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِنكِ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: ما نسيت  
 الدعاء للذرية بالصلاح والاستعاذة من الشيطان الرجيم.

### ○ النتيجة:

١- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾.

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٣٦٧، ٣٦٨).

٢- ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: «يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرةً وأنه أنبتها نباتًا حسنًا أي جعل لها شكلاً مليحاً ومنظراً بهيجاً ويسر لها أسباب القبول وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم العلم والخير والدين»<sup>(١)</sup>.

٣- ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: «وإنما قدر الله كون زكريا كفلاً لسعادتها؛ لتقتبس منه علماً جمًّا نافعًا وعملاً صالحًا، ولأنه كان زوج خالتها»<sup>(٢)</sup>.

٤- ﴿أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾: «من المعلوم أن من وهب للمعبد لا يتزوج، فكيف تقول ذريتها؟! فأخرج الله لها ذرية بدون زواج»<sup>(٣)</sup>، وجاء في الحديث الصحيح؛ «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمْسُهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِحًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرِيَمَ وَابْنَهَا»<sup>(٤)</sup>.

#### ○ مثال سيدنا زكريا ﷺ:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالِ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾

(١) «تفسير ابن كثير» (١/٣٦٧، ٣٦٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «النية في إيجاب الذرية»، محمد حسين يعقوب.

(٤) البخاري (٤٥٤٨).

إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّعُهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾

[آل عمران: ٣٨، ٣٩].

﴿ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٢-٧].

﴿يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْكُفْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٢-١٥].

### ○ النية:

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ : أي رب هب لي من عندك ذرية طيبة<sup>(١)</sup>.

(١) ابن كثير (٣/١١٩).

﴿وَإِنِّي خِصْتُ الْمَوْلَى مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ :  
 لم يكن هدف زكريا من دعائه عَرَضَ الدنيا، ولكنه خاف من الموالي وهم بنو عمه ومن يلونه في النسب من بني إسرائيل أن يسيئوا خلافته في أمته، فسأل الله ولدًا يكون نبيًا من بعده ويجعله مرضيًّا عنده.

### ○ النتيجة:

- ١- ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ : أي مصدقًا بعيسى ابن مريم؛ إذ هو أول من صدق به وعلى سنته ومنهاجه .
- ٢- ﴿وَسَيِّدًا﴾ : أي سيدًا في الحلم والعلم والعبادة والخلق .
- ٣- ﴿وَحَصُورًا﴾ : أي يحبس نفسه عن الشهوات عفةً وزهدًا، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك .
- ٤- ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ : بشارة نبوته ﷺ .
- ٥- ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ : أي الفهم والعلم والإقبال على الخير؛ فالحكمة تأتي متأخرة ولكن يحيى جاءته وهو صغير .
- ٦- ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ : آتاه الله الحنان لا يتكلفه ولا يتعلمه، وهي صفة ضرورية للنبي لرعاية القلوب والناس .

٧- ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾: موصولاً بالله، مراقباً له وبخشاه.

٨- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾: كان ذا طاعة لوالديه، ويتجنب عقوقهما قولاً وفعلاً، أمراً ونهياً.

٩- ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾: سلم الله عليه، بينما عيسى سلم على نفسه فقال: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٢].



فالسؤال الآن؛ ماذا أنوي حين أقدم على الإنجاب؟

قال رسول الله ﷺ: «تزوَّجوا فإنني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولا تكونوا كرهبانية النصارى»<sup>(١)</sup>.

فتكثير عدد المسلمين في الأرض من النوايا العظيمة التي يجب أن ينويها الشخص المقبل على الإنجاب، أضف أن في ذلك الأمر امتثالاً لأمر النبي ﷺ لكي يباهي بك وبأولادك الأمم يوم القيامة.

من النوايا الحسنة أيضاً أن تنوي إنجاب إنسانٍ صالحٍ يوحد الله ويساهم في نشر الإسلام، ويكون ذخرًا لدينه وذخرًا لك في

---

(١) «السلسلة الصحيحة»، الألباني (١٧٨٢).

الآخرة، وانظر إلى عمر بن الخطاب حين قال: «والله إنني لأكره نفسي على الجماع بغية أن يخرج الله من صلبي من يوحده»<sup>(١)</sup>، وأن تنوي نجاة الأمة من الهلاك؛ للحديث: أنهلك وفينا الصالحون؟! «نعم إذا كثر الخبث»<sup>(٢)</sup>، فبإيجابك للصالحين نجاة للأمة من الهلاك.

ولا ننسَ أيضًا أن نرفع أيدينا أن يرزق أولادنا الصلاح، فالله ﷻ قال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾، والنبي ﷺ قال: «أَعَجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ»<sup>(٣)</sup>.



(١) البيهقي (١٣٤٦٠).

(٢) البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) «السلسلة الصحيحة»، الألباني (٦٠١).

## تَرْكُ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ

يتميز ديننا الحنيف دون غيره بالشمولية وتوضيح كل شيء يحتاجه الإنسان المسلم في صلاح دينه ودنياه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وعدم ترك أتباعه دون توجيه حتى في أصغر الأمور وأدقها، وقد قال سلمان الفارسي «علمنا رسول الله كل شيء حتى الخراءة»<sup>(١)</sup>.

وقد علمنا رسول الله ﷺ آداباً وأحكاماً للمولود التي بفعلها يحفظ المسلم ذريته من الشيطان وكيده ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً، مثل أدعية النكاح وأحكام المولود، والأصل عند المسلم الالتزام بهدي النبي ﷺ في كل أمور حياته لأن هديه بمثابة المنهاج والدليل لكل من أراد الحياة على طريق الاستقامة؛ فبهديه يسلم الإنسان من كل سوء في الدنيا والآخرة؛ «تَرَكَتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ،

---

(١) مسلم (٢٦٢).

لَتَتَّضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ»<sup>(١)</sup>.

عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ آدَابًا وَأَحْكَامًا لِحِفْظِ الذَّرِيَةِ:

١- دعاء الجماع: فقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»<sup>(٢)</sup>، فبهذا الدعاء يحفظ الإنسان ذريته ويحفظ زوجته أيضًا من الشيطان وكيده. «وفي هذا الحديث وعدٌ لمن قال ذلك، وورق ولدًا: أن الشيطان لا يضره، لكن ليس بالضرورة أن من لم يقل هذا الذكر عند الجماع فإن الشيطان يضر ولده ولا بدَّ، أو أن الشيطان يكون له نصيب في ذلك الجماع ولا بدَّ؛ فالحديث لم يقل ذلك، وإنما فاته الفضل والحفظ الوارد هنا، فإن كان قد ترك ذلك لعذرٍ، كأن يكون جاهلاً به، أو ناسيًا له عند ذلك، فهو في محل العفو والمسامحة - إن شاء الله - بوعده الله تعالى لأمة النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

٢- الأذان عند الولادة في أذن المولود: أي التأذين في الأذن اليمنى، فعن أبي رافع عن أبيه، قال رأيت الرسول ﷺ «أَذَّنَ فِي

(١) مالك (٣)، وقال الألباني في «مشكاة المصابيح» (١/٦٦): حسن.

(٢) البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤).

(٣) «الإسلام سؤال وجواب» فتوى رقم (١٥٣٦٣٣).

أُذُنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ حِينَ وَلَدَتْهُ فَاطِمَةُ بِالصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup> وَسُرُّ هَذَا التَّأْذِينِ

كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ «تَحْفَةُ الْمُودُودِ» لِابْنِ الْقَيْمِ<sup>(٢)</sup>:

- أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ مَا يَقْرَعُ سَمْعَ الْإِنْسَانِ كَلِمَاتُهُ الْمَتَضَمِّنَةُ

لِكِبْرِيَاءِ الرَّبِّ وَعَظَمَتِهِ، وَالشَّهَادَةَ الَّتِي أَوَّلَ مَا يَدْخُلُ بِهَا فِي الْإِسْلَامِ.

- هَرُوبَ الشَّيْطَانِ مِنْ كَلِمَاتِ الْأَذَانِ، وَهُوَ كَانَ يَرُصُّهُ حَتَّى

يُولِدَ، فَيُقَارِنُهُ لِلْمَحْنَةِ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ وَشَاءَهَا، فَيَسْمَعُ شَيْطَانَهُ مَا

يُضَعْفُهُ وَيَغِيْظُهُ أَوَّلَ أَوْقَاتِ تَعَلُّقِهِ بِهِ.

- وَفِي مَعْنَى آخَرَ هُوَ أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ إِلَى دِينِهِ الْإِسْلَامِ

وَالْإِلَى عِبَادَتِهِ سَابِقَةً عَلَى دَعْوَةِ الشَّيْطَانِ، كَمَا كَانَتْ فَطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي

فَطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا سَابِقَةً عَلَى تَغْيِيرِ الشَّيْطَانِ لَهَا.

٣- ذَبْحَ عَقِيْقَةِ الْمَوْلُودِ: قَالَ ﷺ: «كُلْ غَلَامٌ رَهِيْنَةٌ بِعَقِيْقَتِهِ،

تَذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيَحْلُقُ وَيَسْمَى»<sup>(٣)</sup>، وَمَعْنَاهُ أَنْ الْعَقِيْقَةُ سَبَبُ

لِحِمَايَةِ الْوَلَدِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَتَخْلِيصِهِ مِنْهُ.

---

(١) أَبُو دَاوُدَ (٥١٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٥١٤)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيْلِ فِي

تَخْرِيجِ أَحَادِيثِ مَنَارِ السَّبِيْلِ» (٤/٤٠٠): حَسَنٌ.

(٢) «تَحْفَةُ الْمُودُودِ بِأَحْكَامِ الْمَوْلُودِ»، ابْنُ الْقَيْمِ ص ٣١.

(٣) أَبُو دَاوُدَ (٢٨٣٨)، وَالنَّسَائِيُّ (٤٥٣٢). وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «إِرْوَاءِ الْغَلِيْلِ»

(٤/٣٨٥): صَحِيْحٌ.

وقد قال ابن القيم رحمته الله: «وظاهر الحديث أنه رهينةٌ في نفسه، ممنوعٌ محبوس عن خير يُراد به، ولا يلزم من ذلك أن يُعاقب على ذلك في الآخرة، وإن حُبِسَ بترك أبويه العقيقةَ عما يناله من عَقِّ عنه أبواه، وقد يفوتُ الولدُ خيرٌ بسببِ تفريطِ الأبوين وإن لم يكن من كسبه»<sup>(١)</sup>.

٤- الرُقبة الشرعية: ومما يجب التنويه عليه في هذه المسألة هو التماس حفظ الولد عبر الرقية الشرعية فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»<sup>(٢)</sup>، فلما نزلت المعوذتين أخذ بهما وترك ما سواهما من التعويذات.

الشاهد من الأحاديث التي ورد ذكرها أن بها من الأسباب الحافظة للذرية ما بها، والذي لم يفعلها غير آثم في الشرع ولكن فاته الفضل والخير الكثير.

(١) «زاد المعاد» (٢/٣٢٦).

(٢) البخاري (٣٣٧١).

٥- الدعاء بصلاح الذرية: قال رسول الله ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء»<sup>(١)</sup>، فاستمطار رحمة الله بصلاح الولد أمر مطلوب لذلك حرص عليها المصطفين الأخيار من البشر وهم الأنبياء، فدعا إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، قال ابن كثير رحمه الله: «أولادًا مطيعين عوضًا عن قومه وعشيرته الذين فارقهم»<sup>(٢)</sup>. وعن زكريا قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرْتِي وَيَرْتُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾: «أي مرضيًا عندك وعند خلقك، تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه»<sup>(٣)</sup>، وقد جعل الله الدعاء للذرية بالصالح من صفات المؤمنين فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. وانظر إلى البخاري - كما ذكر اللالكائي في (شرح السنة): «كان قد ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته الخليل إبراهيم عليه السلام في المنام فقال لها: يا هذه ردَّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك،

(١) البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٤٢)، والبيهقي (٨٣٩٤). وقال الألباني

في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢٣٨/١): صحيح.

(٢) «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير (٢٣/٧).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، ابن كثير (١٨٩/٥).

قال: فأصبح وقد رد الله عليه بصره»<sup>(١)</sup>، فدعاء أم البخاري له كان له أثرٌ في شفائه وحفظه للسنة واستفادة الأمة كلها بعلمه.

٦- البُعد عن الدعاء على الأبناء: وجه النبي ﷺ إلى عدم الدعاء على النفس والولد فقال: «لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَوْلَادِكُمْ وَلَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَمْوَالِكُمْ لَا تُؤَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عِظَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup> وقال أيضًا: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»<sup>(٣)</sup>، فدعاء الوالد على والده له من الأثر ما يكون السبب في فساده وقد جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يشكو إليه عقوق ولده، فسأله ابن المبارك: «أدعوت عليه؟»، قال: «نعم»، قال: «أذهب فقد أفسدته».



---

(١) «كرامات الأولياء»، اللالكائي (٩/٢٩٠).

(٢) مسلم (٣٠٠٩).

(٣) ابن ماجه (٣٨٦٢). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته»

(٥٨٢/١): حسن.

## الأميَّةُ التَّربويَّةُ

ليس كل من اشترى سيارة سائقًا، وليس كل من ألقى قسيده شاعرًا، كذلك ليس كل من أنجب أصح مربيًا، فالتربية فن له قواعده وله أصوله لا يسع من تزوج وأنجب أن يجهله خاصة من كان حريصًا على التزام أولاده وسلوكهم طريق الاستقامة خاصة أن العائلة هي المحيط الاجتماعي الأول للطفل الذي يستقي منه الآخلاق والأفكار والمبادئ وكل شيء يساهم في تشكيل شخصيته .

**وينشأ ناشئ الفتيان منَّا**

**على ما كان عوَّده أبوه**

والعجب كل العجب ممن لا يعرف شيئًا عن التربية أو قرأ حتى كُتِبًا ويشتكى من صعوبة توجيه أولاده أو فهمهم!، مثله مثل من اشترى جهازًا لم يعرف عنه شيئًا ولا قرأ حتى دليلًا إرشاديًا عنه ويتعجب من خراب الجهاز بعد فترة لسوء استخدامه له .!

فضعف المخرجات التربوية لبيوت «التيار الإسلامي» ناتجة للأسف عن الأمية التربوية التي يعاني منها الوالدان، وللأسف بضاعتهم فيها مُزجاة من نصائح التجارب الأخرى والخبرات الخاطئة والتعلم في الأبناء، والسؤال هنا، كيف سيتشرب الولد معاني الدين ويحمل هم عقيدته ومن يتحمل مسؤولية تربيته يجهل طريقة توصيل تلك المعاني له؟!، وكيف سيسلك الولد طريق الاستقامة ومن يتحمل مسؤولية تقويمه يجهل بألف باء تربية؟!، كيف إذا أتبع الوالدان سبيلاً خاطئاً في تحفيظه للقرآن أو في ارتدائها الحجاب؟!.

### ○ والأمية التربوية درجات:

١- سياسة الأسلوب الواحد: وهو وضع أسلوب وطريقة موحدة لتربية كل أبنائه، وفي هذا قال الدكتور عبد الكريم بكار: «إن الله جعل اختلاف نفوسنا وعقولنا قريباً من اختلاف وجوهنا، وكما أن في اختلاف وجوهنا ثراءً عظيمًا وفوائد لا تُحصَى، فإن في اختلاف عقولنا ورغباتنا فوائد كثيرة، ولهذا فإن ما يصلح في التعامل مع أحد الأبناء قد لا يصلح في التعامل مع أخيه، وإن ما يرغب فيه أحد الأبناء قد يمقته الآخر، ونحن نعرف كثيرًا من الآباء والأمهات الذين يستغربون لماذا ينجح أسلوب تربوي مع ولد

ولا ينجح مع أخيه، مع أن الذي يستحق الاستغراب فعلاً هو نجاح أسلوب تربوي واحد مع عدد من الأبناء»<sup>(١)</sup>.

٢- سأريه كما ربّاني أبي: بعض الآباء والأمهات يستخدم هذا الأسلوب في تربية أبنائهم ألا وهو «سأريه كما ربّاني أبي» بلا شك أن أساليب الآباء والأمهات كانت جيدة وبها بعض الاستفادات العظيمة ولكن،

ما الذي يضمن لك نجاح أسلوب أباك مع ولدك، حتى وإن نجح معك؟!!

وهل تعتقد أن التطور الذي نعيش فيه سيصلح معه أساليب الآباء والأجداد؟

«فلا يصح لنا أولاً أن نفترض أن كل الأساليب التربوية التي اتبعتها أهلونا ومعلمونا في تربيتنا كانت صحيحة، فهم قد اجتهدوا وفعلوا كل أو بعض ما يستطيعون فعله، ولكن ليس هناك أية ضمانات لصواب ما فعلوه، وإذا افترضنا أنهم اتّبَعُوا أفضل الأساليب في تربيتنا، فذلك لا يعني أن أساليبهم تلك تصلح لكل الأزمان وكل الأجيال، وإيماننا بقدرة الوعي على التقدم يبيح لنا

---

(١) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ١٣.

أن ننتظر من الجيل الحالي تربية لأبنائه أفضل من التربية التي تلقّاها من أسلافه»<sup>(١)</sup>.

٣- الصفر التربوي: وهذا النوع غافل تمامًا عن شيء يسمى التربية فيمارس نوعًا من اللامبالاة ولا يخطر على باله هذا الأمر تمامًا، وكل نظره يتجه إلى نمو الطفل . . إنه الآن يحبو . . الآن بدأ يتكلم . . فهو يراها مُضغّة لحم تنمو وتكبر وتلهي بها .  
فكما ذكرنا سابقًا أن ليس كل من اقتنى سيارة يصبح سائقًا، فكذلك ليس كل من أنجب أصبح مربيًا، فالأصل أن يتشبع الوالدان بخلفية ولو بسيطة عن عملية التربية بجوانحها الإيمانية والخلقية والنفسية والجنسية . . ، بالإضافة لمعرفة الخصائص العمرية لكل سن، ف«التربية عمومًا لم تُعدّ عملية عشوائية، متروكة للرغبات والعادات، بل أصبحت علمًا له أصوله وفصوله، وقواعده وأسسها التي يقوم عليها، ويستند إليها، ومن ثمّ كان من الأهمية بمكان أن يكون المربي على علم وإطلاع على تلك القواعد والأصول التي تقوم عليها عملية التربية»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «دليل التربية الأسرية» عبدالكريم بكار.

(٢) «المدخل إلى تربية الأبناء»، رضا المصري ص ١٧٥.

فالجهد التربوي جهد لا يطيقه أي إنسان، بل هو جهد في غاية الصعوبة والمشقة، إنه تعامل مع عالم الإنسان، هذا العالم الغريب الذي يحوي عديداً من المتغيرات، كيف نتعامل معه ذلك كله بخبرات مزجاة وبأساليب بدائية.

### ○ أهمية التربية في حياة الإنسان:

يقول الإمام في إحيائه: «والصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّدَ الخير وَعَلِمَهُ نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّدَ الشر وأُهْمِلَ إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي به».

«فإن الصبي مهما أُهْمِلَ في ابتداء نشوئه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً ناماً لحوحاً ذا فضول وضحك وكياذ ومجانة، وإنما يُحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب»<sup>(١)</sup>.

---

(١) «إحياء علوم الدين»، الغزالي (٧٢/٣).

فمغبة الأمية التربوية شديدة وحصادها مر، وللأسف أغلب المتزوجين لا يقرؤون في التربية إلا بعد إنجابهم بسنين!، وهذا خطأ فادح، فلو أنك اشترت جهازاً كهربائياً لا تقدم على استعماله حتى تقرأ دليل الاستعمال، فما بالك بنفس بشرية!، فيجب على الوالدين المطالعة في كتب التربية، وأن يكون لهم مستشار تربوي يثقون فيه للمساعدة في حل مشاكل أبنائهم وتنشئتهم تنشئةً صالحةً سويةً، فالأمر جد خطير، فقد قال نابليون: «إن المرأة التي تهز المهد بيمينها، تهز العالم بشمالها»، و«هناك فرق شديد بين أمية القراءة والكتابة وبين أمية التربية؛ إذ أمية القراءة والكتابة من حيث آثارها أخف كثيراً جداً من أمية التربية، أما التربية فقد تُخرج أجيالاً مشوهة نفسياً تعاني وتتعذب وتنحرف في كل مظاهر الحياة»<sup>(١)</sup>.

الملتزمون السالكون لطريق الاستقامة أولى بمعرفة تلك الخبرات التربوية لما عليه من مسؤولية كبرى من صلاح أبنائهم وزرع القيم والمبادئ فيهم، وتحبيبهم في طريق الاستقامة في زمن يسير الكل فيه ضدك، وما تبنيه في أعوام يُهدم في لحظات. وللأسف كثير من الشباب الذين حادوا عن طريق الاستقامة كان

---

(١) محاضرة: «محو الأمية التربوية»، الشيخ محمد إسماعيل المقدم.

بسبب تصرفات خاطئة وأمية تربوية فاضحة عند الوالدين أو المرابي أو المحفظ جعلته يحدد تمامًا عن طريق الاستقامة، وقد جاء في حديث النبي ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»<sup>(١)</sup> أي لا إثم أعظم من ذلك، ومن تضييعهم التفريط في تربيتهم تربية سليمة قائمة على معرفة واطلاع.

يجب أن يدرك الملتزم أن لكل مرحلة عمرية خصائصها وطبيعتها، وأن لكل جنس طريقة خاصة في تربيته وتوجيهه، ويجب أيضاً أن يدرك كيفية التعامل مع مشاكل ولده وتوعيته في الوقت المناسب، لا بعد فوات الأوان، يجب أن يتعلم طرق الثواب والعقاب والتدرج فيها وطرق توصيل الأفكار وترسيخ المبادئ والقيم لدى ولده، كل هذه الخبرات وأكثر لا بد وأن يتعلمها كل ملتزم أراد صلاح ذريته.

### ○ فرق بين الرعاية والتربية:

هناك فرق بين الرعاية والتربية . . فالرعاية هي توفير المأكل والملبس والمشرب. أما التربية فهي تعديل السلوك وتقويمه . . فالذي يوفر المأكل والملبس والمشرب لا فرق بينه وبين راعي

---

(١) النسائي (٩١٣١)، ومسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس، عمن يملك قوته».

الغنم الذي يوفّر الأكل والشرب لدوابه، وكم من أب وأم في مقام الرعاية يحسبا أنهما في مقام التربية.

أدرّك ذلك الأمر جان جاك روسو في كتابه الطفولة من المهد إلى الرشد فقال: «حين ينبغي الأب أبناءه وينفق عليهم ليغذيهم، فما يقوم إلا بثلاث واجبه نحوهم. وأيّما رجل عجز عن النهوض بأعباء الأبوة حق النهوض، لا حق له أن يغدو أبًا، فما من خصاصة، أو عمل، أو جاه يمكن أن تعفيه من واجب إعالة بنيه وتنشئتهم بنفسه»، وما نحن مطالبون به هو تعديل السلوك وتقويم الأبناء ولا يتم ذلك إلا بحصيلة معلوماتية عن التربية.



## إِهْمَالُ التَّرْبِيَةِ الْعَقَدِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ

إهمال التربية العقدية المبكرة أحد الأسباب التي أسهمت في ضعف المخرجات التربوية لبيوت التيار الإسلامي، أي عدم غرس معاني العقيدة ومراقبة الله في السر والعلن في سن مبكرة بحيث تكون حائط صدٍّ ومناعةٍ لأي شبهة وشهوة.

فالعقيدة تُعدُّ ضرورة من ضروريات الإنسان التي لا غنى عنها، كما أنه يميل إليها بحسب فطرته، وحرِيُّ بنا كمسلمين وأصحاب عقيدة فريدة تتميز بالعقلانية والفهم خالية من الطلاسم والخرافات؛ الاهتمام بالبناء العقدي لأبنائنا بداية من تعليقهم بالله وإرشادهم إلى الإيمان بالله ومراقبته في السر والعلن وغرس الربوبية والألوهية في أذهانهم.

فالتربية العقدية القائمة على معتقد هي حماية للأمة؛ لأن أبناء الإسلام اليوم تُحَاك لهم المؤامرات من الأعداء ما لا يُحصى ولا يُعد لإفسادهم، «وهذه التربية الإيمانية . . هي التي يلحُّ عليها

كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب لتحرّر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة، وإليكم طرفٌ من أقوالهم: (فإن هؤلاء الآباء الذين كانوا يسألون كيف ينمّون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكّلت أخلاقهم من قبل، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لا حل لها، فلم يوجد بعد ذلك الدليل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الإيمان بالخالق وبناموسه الخلقى الإلهي في قلوب الناس . . .)<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى المجتمع الأمريكي حين غلبت عليه المادة وانسلخت منه روح العقيدة: «فقد منعت الحكومة الأمريكية الخمر، وطاردتها من البلاد واستعملت جميع الوسائل لبيان مضارها ومفاسدها ولكن لم يزد الأمة الأمريكية إلا غرامًا بالخمر وعنادًا في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة عام ١٩٣٣م إلى سحب القانون وإباحة الخمر في مملكتها بإباحة مطلقة»<sup>(٢)</sup>، وذلك شاهد أن العقيدة هي حائط الصد المنيع أمام أي شهوات أو شبهات تحاول اختراق المجتمع.

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ١٢٥ بتصرف.

(٢) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» ص ٨٤، باختصار وتصرف.

ولقد أثبتت التجارب التربوية أن خير وسائل استقامة السلوك الإنساني هي التربية القائمة على عقيدة صحيحة و«نحن في أيامنا هذه أحوج ما نكون إلى ترسيخ هذه المعاني حيث إن ما يسمعه الطفل ويُراد في كثير من وسائل الإعلام بات خاليًا من هذه الأمور الجوهرية، وحيث يجتاح العالم موجات اللهب والمرح واللعب والقصص والأعمال الدرامية التي شغلت أذهان الناشئة بكل شيء إلا قضية التوحيد وقضية الهدف الأكبر من الوجود!!»<sup>(١)</sup>.

#### ○ الغرس المبكر:

وحتى نضع اللبنة في مكانها الصحيح ونبني حائط الصد العقدي المنيع لأولادنا يجب أن يكون البناء مبكرًا. فإن «الطفل يتعلم في سنواته الأولى أكثر بكثير مما يتصوره الآباء، وإن العادات يمكن أن يكتسبها بسهولة كلما كانت سنه أصغر، فإن ٩٠% من العملية التربوية تتم في السنوات الخمس الأولى»<sup>(٢)</sup>.

(١) «دليل التربية الأسرية»، عبد الكريم بكار ص ٢٦.

(٢) «مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة»، عدنان باحارث ص ٨١.

وقال ابن الجوزي في التربية المبكرة: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان رده صعباً»<sup>(١)</sup>.

### قد ينفع الأدب الأولاد في الصغر

وليس ينفعهم من بعده أدب

إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت

ولا تلين ولو لينته الخشب

ويقول الدكتور إسماعيل المقدم في كتابه «محو الأمية التربوية» عن فضل التربية المبكرة: «تربية الأولاد تبدأ مبكرة جداً عما نتخيل؛ لأن أغلب الناس تنظر إلى الطفل من ناحية نموه الجسدي . . وبعض الناس لا يلتفت إلى مسألة التربية إلا بعدما يكبر الولد ويتعدى الثانية عشرة من عمره، وهذه خسارة ما بعدها خسارة؛ لأن نفسية الطفل وشخصيته تتشكل وتوضع البذرة الأولى لها في الخمس سنوات الأولى . . وهذه المرحلة حقها أن تحظى بأكبر قدر من العناية، لكنها تحظى بأكبر قدر من اللامبالاة»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال»، الفاضلي حسين بن محمد المهدي (١/٣٠).

(٢) «محو الأمية التربوية»، د. محمد إسماعيل.

وقد مارس معلم البشرية الأول ﷺ ذلك مع أطفال زمانه وهذا ما يرويه التابعي الجليل عمرو بن شعيب بقوله: «كان الغلام إذا أفصح من بني عبد المطلب علمه النبي ﷺ هذه الآية سبع مرات وهي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾»<sup>(١)</sup>، وقد أكد هذا المعنى جندب بن عبدالله البجلي وهو أحد الصحابة الصغار الذين عاصروا النبي وهو يمارس التربية العقديّة المبكرة فقال: «كنا مع النبي ونحن فتيان حزاورة -أي الغلام إذا اشتد وقوى- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، فازددنا به إيماناً»<sup>(٢)</sup>.

### ○ أهمية التربية المبكرة علمياً<sup>(٣)</sup>:

١- ما أكدت عليه الغالبية العظمى من الدراسات والبحوث في مجال علم نفس النمو من أن قسماً كبيراً من النمو العقلي واللغوي للطفل ونمو ذكائه وتفكيره يتم خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره.

(١) «مصنف بن أبي شيبة» (١/٣٤٨).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٦١).

(٣) Julfkids.com د. ليلي كمال الدين، دراسة (إعداد أطفالنا للمستقبل).

٢- إن حصول الطفل على رعاية وتربية وتنمية ذات مستوى عال خلال الأعوام القليلة الأولى من عمره ليصل ويحقق أقصى ما لديه من قدرات.

٣- يُبنى الأساس الأول للضمير الإنساني خلال السنوات القليلة الأولى من عمر الطفل مما يجعل الطفل يعرف ويميز الصواب من الخطأ.

### ○ برنامج عملي للتربية الإيمانية المبكرة<sup>(١)</sup>:

١- تعويد الطفل منذ بلوغه عامين على كلمة التوحيد، وكثرة ترديدها في كل مناسبة حتى ترسخ هذه الكلمة في لسانه وقلبه.

٢- التربية العقديّة عن طريق تعريفه بالله ونعمه عليه والشكر عليها كي يرتبط قلب الصبي بربه فيعظمه، وإرشاد الطفل للإيمان بالله وقدرته المعجزة وإبداعه، واستغلال الفرص لإجراء حوار مناسب يلائم عقل الصغير لإيصال هذه المعاني إليه، أيضًا عدم إهمال أي سؤال من الطفل في جانب العقيدة، والعمل على تبسيط

---

(١) «بناء مستقبل الأمة»، شريف عبدالعزيز الزهيري، باختصار وتصرف، «تربية الأولاد في الإسلام» ص ١١٦.

الإجابات دون تعمق فيها، كي لا يشتت ذهنه، وكي يصل للإجابة المطلوبة، مثال ذلك ما كان من سؤال طفل لمربيه لماذا لا أكون إلهًا؟

وربما يُصعق المربي من هذا السؤال، ولكن الأخ الفاضل المربي قال له: إن الله ﷻ له سمع وبصر محيط بكل شيء، فهل تستطيع أنت أن تفعل ذلك؟ فقال الولد: الآن فهمت.

أيضًا نعرّفه بوجود الملائكة وأنها لا نراهم وأن لهم وظائف وربما يظن البعض أن ذلك الأمر يصعب فهمه على الطفل، وقد أورد الغزالي نصًّا ينفي ذلك: «واعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدّم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظًا، ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئًا فشيئًا، فابتدأه الحفظ، ثم الفهم»<sup>(١)</sup>، وأضف أيضًا إلى التربية العقدية توضيح الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر مع تبسيط المفاهيم والمصطلحات.

وفي هذه النقطة يجب توخّي الحذر من الكذب أو الإجابة بإجابات تصيب الطفل بتصورات خاطئة في عقيدته يعيش بها طوال عمره تكون سببًا في نشوء شبهات من الوارد أن تؤدي به إلى انحراف فكري وعقدي.

---

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي (١/٩٤).

ومما يُروى كدليل على أهمية التربية العقدية أن الجعد بن درهم كان رجلاً منحرف العقيدة، ضالاً، وكان أستاذ مروان بن محمد- آخر خلفاء بني أمية، وقد تسببت التربية من هذا الرجل لمروان بن محمد في سقوط هذه الدولة، وقد قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «وهذا الجعد إليه يُنسب مروان بن محمد الجعدي، آخر خلفاء بني أمية، وكان شؤمُهُ عَادَ عَلَيْهِ حَتَّى زَالَت الدَّوْلَةُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا ظَهَرَتِ البدْعُ التي تُخالف دِينَ الرُّسْلِ انتقم الله ممن خالف الرُّسْلَ وَانْتَصَرَ لَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٣- تعريفه أول ما يُعقل من أحكام الحلال والحرام لكي يرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة مع بيان جزاء الحلال وجزاء الحرام لكي يكون عن اقتناع مع تبسيط المفاهيم له قدر الإمكان.

٤- العمل على غرس روح التقوى لمراقبة الله ﷻ في كل تصرفاته، وذلك عن طريق قراءة بعض آيات القرآن التي تتحدث عن معية الله وجزاء المتقين وأثر الخشوع متأسيًا في ذلك بالرسول عندما علّم ابن عباس وهو غلام يركب خلفه، ويمكن استخدام الترغيب والترهيب لمن يفعل شيئًا يحبه الله أو شيئًا يبغضه، . . مع

---

(١) «مجموع الفتاوى» ابن تيمية (١٣/١٧٧).

مراعاة عدم الإفراط في هذا الأسلوب كي لا تختل شخصية الطفل.

وإليكم هذه القصة التي ذكرها الإمام الغزالي في إحيائه تبين أهمية التربية الإيمانية وزرع التقوى والخشية من الله في نفس الطفل: «قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل، فأنظر إلى صلاة خالي «محمد بن سوار» فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته، فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودّم عليه إلى أن تدخل القبر، فإنه ينفك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه، ناظرًا إليه وشاهده . . أيعصيه؟! إياك والمعصية . .»<sup>(١)</sup>، وأصبح سهل من أكبر العارفين بالله.

---

(١) «إحياء علوم الدين»، الغزالي (٣/٧٤).

٥- أمره بالعبادات، وهذا تنفيذاً لوصية النبي ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ . .»<sup>(١)</sup> والطفل حتى سن البلوغ غير مطالب بأداء العبادات وجوباً، بل يؤديها على سبيل الاعتياد والتدريب فيسهل عليه أداء العبادات عند بلوغه؛ لأنها قد أصبحت بحكم العادة جزءاً من نظام حياته كالأكل والنوم، لا يستطيع التخلي عنه وهو ما يقول عنه العلماء «التربية بالعادة».

٦- زرع حب رسول الله ﷺ في قلوبهم، وذلك يتم عن طريق:

أ- بيان أن الرسول هو القدوة الأعلى لكل البشرية وسرد سيرته بصورة مشوقة ومبسطة.

ب- بيان أن طاعة الرسول ﷺ هي عنوان لطاعة الله.

ج- تعليمهم غزوات رسول الله ﷺ وسير الصحابة الكرام.

٧- يجب أن تربيته على حفظ وتلاوة القرآن الكريم؛ فإن للقرآن تأثيراً على النفس البشرية، وكلما صَفَتْ زاد التأثير، والطفل أقوى الناس صفاء، وفطرته ما زالت نقية، لكنه لا يدرك معاني الآيات ولا يتأثر بها إلا من خلال ناقل، وهذا الناقل يمكن أن

---

(١) أبو داود (٤٩٥).

يكون الأب أو الأم، فالطفل الذي يرى والده يبكي عند قراءة القرآن ويتأثر بالآيات تنطبع هذه الصورة في مخيلته طوال حياته ويتأثر مع والده، ويبكي لبكائه، وعندما يكبر ويعقل يدرك سر بكاء أبيه.

وبعد استعراض أهمية التربية العقدية ووسائل غرسها حري بكل مسلم وبأبناء التيار الإسلامي خاصة -كون الكتاب يستهدفهم- بأن يهتموا بغرس تلك المعاني في قلوب أبنائهم بشكل صحيح بعيداً عن الوسائل الخاطئة والأساليب المنفّرة كي نخرج جيلاً يحمل هم عقيدته، لا يتأثر بشبهات ولا تحركه فتن وشهوات، لا سيما وأن العالم أصبح كغرفة واحدة تحت تأثير التكنولوجيا والعولمة.



## إِهْمَالُ التَّرْبِيَةِ النَّفْسِيَّةِ فِي التَّوْجِيهِ

تُعد التربية النفسية من أهم الأسلحة التي يفتقدها الأبوين في التأثير على أبنائهم بالرغم من سهولة استخدامها وفعالية نتائجها، وللأسف ساهم إهمال تفعيل تلك الوسائل في ضعف المخرجات التربوية لدى بيوت «الملتزمين» ونفور الكثير من أبنائهم من طريق الاستقامة والالتزام.

ولكم نَفَر شخص من طريق الاستقامة بسبب المعاملة السيئة من أبيه أو عدم تدعيمه وتشجيعه، وإحباطه في كل ما يفعل، أو عدم تفعيل سلاح التربية والتوجيه بالحب أو بسبب مشاكل البيت الأسرية، وعلى العكس كم التزم شخص وسلك طريق الاستقامة بسبب اهتمام الأبوين بتلك الجوانب التي يظن البعض أنها بسيطة وهي في الحقيقة بسيطة في التطبيق وعظيمة في الأثر.

## ○ أهمية التربية النفسية:

«يعتبر البناء النفسي والعاطفي من أكثر الأمور أهمية وحساسية في حياة الأبناء، ذلك لأن العاطفة تحتل مساحة كبيرة في نفس الطفل، فإن أخذها بشكل متوازن كان إنساناً بكل المعاني السوية، وإن أخذها بغير ذلك -بالزيادة أو النقص- تشكّلت لديه عقْدٌ لا تُحمد عقباه»<sup>(١)</sup>.

«الهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها . . حتّى يستطيع إذا بلغ سن التكليف أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه وأنبّل معنى»<sup>(٢)</sup>.

وبحسب مارأيته في مجال تربية أبناء الملتزمين فسأتناول نقاطاً مهمّة في هذا الجانب كانت سبباً في استقامتهم أو نفورهم عن الطريق، وسنستعرض المشكلة على ثلاثة محاور هم الأهم:

- ١- التشجيع .

- ٢- الخلافات الزوجية .

- ٣- الإشباع العاطفي .

---

(١) «بناء مستقبل الأمة»، شريف عبد العزيز الزهيري ص ٦٢.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصر علوان ص ٢٢٥.

## الأول

### التشجيع

انعدام التشجيع خطأ جسيم في تربية الأبناء، فالتشجيع مثله كمثل الوقود للسيارة، لا تسير إلا به، كذلك التشجيع للأبناء يعطيهم حافزاً على إخراج أفضل ما يحوون من طاقات، ويكسبهم استمرارية لها.

وهذه أمثلة واقعية من واقع الحياة على انعدام التشجيع :

١- انعدام التشجيع عند الإتيان بالطاعات عند فعل الصلوات الخمس، أو عندما يطيع أمه أو أباه في أوامرهم، فيلاقي ردًا جافًا مليئًا بالإحباط مثل «هذا أصلا واجب عليك»، «ما أتيت بجديد»، في حين يتلهف الولد لأي عبارة ثناء لتشجيعه واستمراريته في هذا العمل.

٢- التوبيخ الزائد الذي يحدث عند التقصير في الفضائل مثل التقصير في الحضور في المسجد أو في حلقات القرآن، وتوجيه التهم له مثل: «ستظل دائماً على حالك هذا»، «أنت سبب نزع البركة من البيت»، فبالرغم من أن التربية تحتاج إلى بعض العقاب والتوبيخ لضبط الاعوجاج، ولكن ما نقصده في هذا العنصر هو

زيادة التوبيخ أو تكراره لدرجة إصابة الابن بالوصمة والصد تمامًا عن طريق الاستقامة.

فتعالَ نطالع حال مؤدب البشرية وحال من جاء بعده في أمر التشجيع، لنعرف الدليل العملي في التعامل مع أبنائنا في تلك النقطة.

الرسول الكريم ﷺ «مؤدب البشرية»:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان الرجل في حياة النبي ﷺ إذا رأى رؤيا قصّها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا فأقصها على رسول الله ﷺ، وكنت غلامًا شابًا، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر وإذا لها قرنان وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعود بالله من النار. قال: فلقينا ملك آخر فقال لي: لم ترع. فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلي من الليل» فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلًا<sup>(١)</sup>.

فتشجيع رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر نقله من النوم إلى اليقظة وأثمر عن استقامته وانتظامه في قيام الليل.

---

(١) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

## عمر الفاروق :

فعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :  
«إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ،  
فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله :  
ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا : حدثنا ما هي  
يا رسول الله؟ قال : فقال : «هِيَ النَّخْلَةُ»، قال : فذكرت ذلك  
لعمر، قال : لأن تكون قلت : هي النخلة، أحب إليّ من كذا  
وكذا<sup>(١)</sup>.

تأمل موقف سيدنا عمر في تشجيع ابنه بزرع الثقة في نفسه، ما  
قال له : كيف تجرؤ أن تنطق بها؟! بالطبع لازلت صغيراً  
فلا يمكنك أن تقول؟! بل شجعه وزرع فيه الثقة بعبارة الجميلة  
«لأن تكون قلت : هي النخلة، أحب إليّ من كذاوكذا».

فالثناء والتحفيز له أثر عظيم في استنهاض الهمم وزيادة  
الإنجاز؛ فلقد ذكر الدكتور محمد إسماعيل في محاضرة باسم  
التشجيع ودوره في التربية أن «شخصاً يُدعى الدكتور هنري بوذرد

---

(١) مسلم (٢٨١١).

كان يعمل مدرسًا في إحدى المدارس في (نيوجيرسي)، فاختراع جهازًا لقياس الإعياء والتعب، وكان الأطفال هم موضع الاختبار، وعندما كانوا يتلقون كلمات الشناء والإعجاب والتشجيع كان يُظهر الجهاز ارتفاعًا مفاجئًا يعبر عن وجود طاقة إضافية، وكانت طاقتهم تزداد بمجرد سماعهم هذه الكلمات، وعندما كانوا يتعرّضون للنقد واللوم والتوبيخ كانت تندفع طاقتهم الجسمانية إلى الهبوط بصورة مفاجئة».

فأعرف من أبناء الملتزمين من كان مُعرضًا عن طريق الالتزام وهدهاه الله، وذلك لأن والدايه كانا يشجعانه ويثنيان عليه في فترة عدم استقامته بعبارات مثل «يا خسارة إمكانياتك»، «أنت حقًا مبدع فاستغل قدراتك في الدين»، ومع الوقت والتفكير في تلك العبارات البسيطة التزم طريق الاستقامة!

قالوا عن التشجيع:

«ثم مهما ظهر من الصبي خُلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه . . فإن عاد ثانيًا فينبغي أن يعاتب سرًا

ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا»<sup>(١)</sup>.  
«فحين نشجع طفلاً على الإقدام على عمل يحبه، فإنه ينظر إلى تشجيعنا على أنه تعاطف معه؛ لأننا ساعدناه على تحقيق أمنية من أمانيه، ثم إن التشجيع على عمل من الأعمال يتضمن الاعتراف على نحوٍ خفيٍّ بكفاءة الابن واقتداره على النجاح في العمل الذي شجعناه عليه وفي هذا مؤازرة كبيرة له، والحقيقة: أن للتشجيع دوراً فاعلاً ومؤثراً في تمتع الأمم بعدد وافر من الرجال العظماء، ولهذا فإن التشجيع يشكّل مقياساً من مقاييس التحضُّر، فالمجتمعات كلما تحضّرت أكثر، قدّرت المواهب أكثر»<sup>(٢)</sup>.

فعلينا بتشجيع ولدك، سواء في حال استقامته؛ لتثبيته وضمان الاستمرارية، أو في حال صدوده ونفوره؛ كي تستنهض همته وتخرج الخير المدفون بداخله، فالتشجيع مثل الملاط «الأسمنت»؛ فكلما وضع ابنك حجرة ثبتها بالملاط،، ليقوى البناء ويعلو.

ولكن قبل طي هذه الصفحة يجب وضع الضوابط، ولفت النظر إلى بعض الإشارات في عملية التشجيع:

---

(١) «إحياء علوم الدين»، الغزالي (٣/٩٧).

(٢) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ٨٩.

١- أن يكون صادقًا بدون مبالغة أو كذب؛ فإن الطفل يكتشف ذلك.

٢- عليك بمدح السلوك لا بمدح الشخص نفسه، كذلك في توجيه النقد مثلاً: «إذا أنجز الطفل في حفظه في القرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ قد تحسَّن . . ما شاء الله .

ولا تقل: أنت أحسن شخص في الدنيا، لا يوجد أحسن منك في هذا الكون؛ فهذا يزرع الغرور في نفس الشخص.

مثلاً: «إذا تكاسل الابن في حفظه للقرآن».

فقل: أداؤك في الحفظ غير جيد في هذه الفترة، يجب عليك أن ترجع لمستواك.

ولا تقل: أنت دائماً كسول عن حفظك؛ هذا يزرع الإحباط في نفسية الشخص.

٣- الحاجة إلى معرفة وحاجة كل مرحلة؛ فالتشجيع في الطفولة يختلف عن المراهقة شكلاً ومضموناً.

وبعد، لا يبقى لنا سوى تحذير نبينا عليه الصلاة والسلام: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»<sup>(١)</sup>.

---

(١) مسلم (٢٥٦٤).

## الثاني

### الإشباع العاطفي

التربية بالحب .. تلك الأداة المهملة من أكثر الآباء والأمهات، بالرغم من أنها أقوى وأفضل الأساليب للتأثير على الأبناء، وإن شئت قل على جميع الناس، إنها الوسيلة التي تجعل بين الآباء والأبناء الجسور المتواصلة، ويإهمالها تبعد المسافات وتشق الأحاديث، لذا نجد اهتماماً كبيراً من المتخصصين في التربية والعلماء والدعاة بإنشاء قاعدة نفسية عند الأبناء بينها الآباء من الحب.

فالعاطفة هي تلك المشاعر المتدفقة الفياضة التي تدفع الإنسان لاتخاذ مواقف القبول والرفض أو الحب والكره، لذا تجد تحذيراً من الله لرسوله ﷺ وهو أعظم داعية «ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك»، في توجيه رباني لرسوله أنك لو ما ملكت مفاتيح تلك القلوب بالكلام اللين المنتقى سوف يُصد المدعوون عنك برغم خيريتك بين البشر! .

قالوا عن العاطفة:

«يولد الطفل بخطين باهتين متقابلين، أحدهما يتجه إلى الحب، والآخر إلى الكره، كلاهما فطري، وكلاهما ضروري في

حياة الإنسان . . لأن كل إنسان ينبغي أن يحب ويكره، . . وحين يُترك الإنسان بغير توجيه فهو عُرضة لنوع معين من الاختلال في هذين الخطين .

والذي ينشئ التوازن، ويعيده إذا اختل هو هذا الحب الذي يضيفه الوالدان والأم خاصة على ذلك الطفل الوليد، بالقدر المضبوط الذي يحتاج إليه بلا زيادة أو نقصان . . فهناك نتائج لفقدان هذا الحب كلها سيئة على الإطلاق، وأبرزها أن ينمو خط الكره دون أن ينمو خط الحب أو بأكثر منه<sup>(١)</sup> .

«إن الذي يبذر الحب في قلوب أبنائه يحوّلهم إلى جنود يحرسونه، وعمّال يخدمونه، نعم للحب كل هذا السحر التربوي؛ لأن الذي يحب أحداً يحرص الحرص كله على أن يسعده، ويكون على استعداد لأن يبذل له كل ما يستطيع . . إن الدنيا كلها تختزل في شخص المحبوب فيصبح إرضاءه إرضاءاً للعالم كله، وإغضابه ومخاصمته وكأنه إغضاب ومخاصمة الدنيا كلها . . !!»

وهذا كله يسهّل عملية التربية .

لن تكون نصائح الأب والمربي مجرد «كلام» جاف وثقيل، ينتهي أثره بالانتهاء من ترديده، وإنما يصبح وكأنه «رغبات» للأبناء

---

(١) «منهج التربية الإسلامية»، أ. محمد قطب.

أنفسهم تجيء على ألسنة أولياء الأمور . . ولأن كل من الأب والمربي يتحول في هذا المناخ إلى «محبوب» سيحرص الابن دائماً على أن يفعل ما يسعد محبوبه ويتعد عن كل ما يمكن أن يغضبه»<sup>(١)</sup>.

فالعاطفة تحتل مساحة كبيرة في قلوب الأبناء، ولو استخدمنا التوجيه بالحب لقضي الأمر في أمور كثيرة، فحينما تملأ القلب برصيد الحب حينها تتحكم في كل شيء، لأن القلب هو الملك والأعضاء هم الجنود.

وانظر إلى مؤدب ومعلم البشرية ﷺ حينما استخدم التوجيه بالحب بقاعد (املأ القلب أولاً)، فعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ»، فقال: «أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدْعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

فتأمل إلى تصرف رسول الله:

١- البدء بمسك يده.

---

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري.

(٢) «صحيح أبي داود»، الألباني (١٣٦٢).

٢- قول يا معاذ إني لأحبك، كانت بمثابة الرصيد الذي يملأ به القلب ليوجد بعدها.

٣- اختصار التوجيه وعدم الإطالة.

إذا فالطريق للتوجيه لا بدَّ أن يكون بالرفق والحب «فإن لم يشعر المتربي أن مربيه يحبه، ويحب له الخير، فلن يقبل منه ولو أيقن أن عنده الخير كله، بل لو أيقن أنه لن يجد الخير إلا عنده!! وأي خير يمكن أن يتم بغير حب»<sup>(١)</sup>. كما أن القيادة الحقيقية للأبناء هي قيادة القلوب لا الأبدان، قيادة الحب لا الإرهاب، فتستميلهم بالحب، فإنهم إن أحبوك أطاعوك؛ لأن العقل لا يسمع حتى يسمع القلب.

حتى يكتمل البناء:

فهذه عدة توجيهات للوالدين للمساعدة في ضبط وتوازن الإشباع العاطفي وأيضاً تصحيح لبعض المفاهيم:

١- لا بدَّ أن نفهم أن الوالدين مفطوران على حب الأبناء، ولكن الأبناء لم يفطروا على حب الوالدين؛ لذلك قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [العنكبوت: ٨] فوصى الأبناء بالوالدين ولم

---

(١) «منهج التربية الإسلامية»، محمد قطب ص ٢٨١.

يوصي الآباء بالأبناء لأنهم مفطورون على حبهم، فأنت الذي تزرع فيهم الحب والكره ولكل قاعدة استثناء.

٢- كما أن الإشباع العاطفي هو مسؤولية الوالدين، فهم المسؤولون أيضًا عن انصراف العاطفة عند أبنائهم وبحثهم عن إشباعها في مواطن أخرى «فكثير من الآباء ينسون إيداع أرصدة عند أبنائهم في فترة المراهقة ويهتمون أكثر بتوجيههم وإعطاء الأوامر لهم . . وبالتالي تنخفض أرصدة البنك بين المراهق وأبيه بصورة كبيرة جدًا، ولا عَجَب أن يسعى المراهق بعد ذلك إلى أن يكون أرصدة أخرى مع أصدقاء السوء، مع من يحترمونه ويقدرونه من وجهة نظره»<sup>(١)</sup>.

٣- بعض الآباء يهمل جانب الحب والعاطفة حينما يكبر الأبناء وهذا من أكبر الأخطاء لأن ذلك من أسباب انحراف العاطفة فمن اللازم أن نعطي في الكبر كما كنا نعطي في الصغر بقدر ما يحتاج، خاصة وأن أغلب أبناء الملتزمين يحيد عن الطريق في كبره.

٤- البعض من الآباء يكتفون بحب أبنائهم من غير إظهار هذا الحب لهم أو إظهاره بصورة خاطئة بالمال أو بالمشتريات مثلاً،

---

(١) «سحر الاتصال»، محمد العطار ص ١٩٠.

فهذه بعض النصائح لإظهار حبك لأولادك؛ لكي يكون هذا الحب في زيادة مستمرة:

أ- قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ»<sup>(١)</sup>، لقد قال رسول الله «أخاه» فما بالك بالابن الذي هو من صلبك، فلا بد أن تصارح ابنك أنك تحبه ولا تجعله يستنتج ذلك ولو أن تكتبها له في رسالة، فكما كان يفعل رسول الله فافعل، فكان ﷺ يضم الحسن والحسين ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»<sup>(٢)</sup> فمنذ متى ما قلت لأولادك وصرحت لهم بالحب؟!!

ب- هل جربت مرة أن تأتي بهدية لابنك؟ نعم؛ إنها الهدية التي تحمل قيم ومعاني الحب كما وصانا رسولنا الكريم: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»<sup>(٣)</sup>.

ج- وماله الأثر في زيادة حب أبنائك لك وإظهار هذا الحب لهم ألا وهو تقبلهم واحتضانهم، وفي الحديث الذي اعترض فيه أحد الأعراب على تقبيل الرسول لأبنائه فقال له الرسول ﷺ: «أَوْ

---

(١) أبو داود (٥١٢٤).

(٢) «صحيح الجامع»، الألباني (٧٠٠٣).

(٣) «صحيح الأدب المفرد»، الألباني (٥٩٤/٤٦٣).

أَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»<sup>(١)</sup> وحين ذكر له الأقرع بن حابس أن له عشرة من الولد ما قبّل منهم أحداً، قال النبي: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»<sup>(٢)</sup>، فالبعض يبخلون بكل شيء حتى بمشاعرهم على أولادهم، ظناً منهم أن ذلك صواب لتعليمهم الجدية والصلابة، والحق أنهم يقتلون فيهم كل معاني الحب والرحمة<sup>(٣)</sup>.

د- العدالة بين الأولاد شيء أساسي في كل شيء حتى القُبلة؛ فعن أنس قال: كان مع رسول الله ﷺ رجل فجاء ابن له فقَبَّله وأجلسه على فخذه، ثم جاءت بنت له فأجلسها إلى جنبه، فقال ﷺ: «فَهَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا»<sup>(٤)</sup>، فيجب أن تتحرى العدالة بين أبنائك في كل شيء؛ لكي لا تزرع في نفسه الكره لأخيه بل ولك أيضاً.

ليس لي بعد إلهي مشتكى إليك  
وأخي في الفضل مثلي وكلانا في يديك  
لا تفضله عليّ بالحباء في ناظريك  
إن منحت العين كحلأ هاجت الأخرى عليك  
إنما ابنك كعينيك فكحل مقلتيك

(١) البخاري (٥٩٩٨).

(٢) البخاري (٥٩٩٧)، ومسلم (٢٣١٨).

(٣) «بناء مستقبل الأمة»، شريف الزهيري ص ٦٣.

(٤) «السلسلة الصحيحة»، للألباني (٣٠٩٨).

هـ- جَرَّبَ مرة أن تصطحبه في سفر أو تخرج معه خصيصاً بمفردك معه فهذا يفتح المجال للحوار بين الآباء والأبناء، فكم من ابن ظلَّ حبيس مشكلته وأزمته فخلق فرص الحوار تزيد المحبة.

ز- مداعبة الأبناء وممازحتهم لما في ذلك من إدخال السرور على الأبناء؛ ففي الحديث أنه كان ﷺ يداعب الحسن والحسين ويحملهما على ظهره وعلى بطنه.

ط- اتقن لغة المشاعر «فكلماتنا التي نلقيها على أبنائنا لا تكتسب تأثيرها من ألفاظها التي تصاغ منها بقدر ما تكتسب ذلك التأثير من نسمات الحب التي تهب منها على قلوب الأبناء»<sup>(١)</sup>.

«إن من الآباء من إذا سمعته يقول لابنه «من فضلك» أو «شكراً لك» أحسست أنه يخاطب جماداً، لخلو صوته من أي نبرة تدل على المودة . . ، فإن هذه الكلمات لو استُعْمِلَت، وكان فيها نفحة من الحب لأفاضت على حياة أبنائنا البشر والسعادة، ولأدقأتهم بالحب والرحمة إلى الانقياد لما نريد»<sup>(٢)</sup>.

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري ص ١٢٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٤١، ١٤٢ بتصرف.

وفي نهاية هذا العنصر نوذُّ أن تكون أدركت قيمة هذا السلاح في التوجيه؛ لأن من الآباء من يبخل على أبنائه حتى بالبسمة أو الضم أو العبارة، فاحذر أن تكون كالضيف الثقيل في بيتك من تعاملك الجاف وخروجك منه أقصى أمانهم.

٥- لا بدّ من التوازن؛ فلا إفراط ولا تفريط، فهنا نطالب أن نعطي الجرعة المناسبة لانقص فيها ولا زيادة، والتحذير هنا من الزيادة التي تؤدي للتدليل؛ فالزيادة مفسدة كما يكون النقص مفسدة و«الزيادة تؤدي إلى التدليل، والتدليل يؤدي رخاوة الكيان النفسي للطفل -فتى كان أو فتاة- والرخاوة عيب في البناء تجعله غير متماسك، وغير صالح للاعتماد عليه في مهمات الأمور، وظروف الحياة لا تتركنا لأنفسنا ولا ترحم رخاوتنا:

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤].

والمدللون ذو الطبائع الرخوة لا يقدرّون على الكدح، فيتعبون في حياتهم ويتعبون<sup>(١)</sup>.

---

(١) «منهج التربية الإسلامية» ص ٣٦٧.

## الثَّالِثُ

### الخلافات الزوجية

تعتبر الحاجة إلى الأمن من أهم الحاجات النفسية التي يسعى الابن في إشباعها، سواء كان في مرحلة الطفولة أو في المراهقة، والخلافات الزوجية أمام الأبناء من الأسباب الرئيسة لضياع عنصر الأمان عند الأبناء وزيادة القلق والاضطراب النفسي.

ولبيان علاقة هذا العنصر بموضوعنا يجب أن نعرف أن الخلافات الزوجية سببٌ في انحراف الأبناء وفسادهم، لأنها من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف الولد، احتدام النزاع، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في معظم ساعات الاجتماع واللقاء... «فالولد حين يرى ظاهرة الخصومة أمام ناظره صباح مساء، سيكون الهروب من جو البيت القاتم، والبحث عن رفاق يقضي معهم كل وقته ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه هدفًا له، فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء، ورفقاء شر، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق وأقبح العادات بل إن انحرافه سيتأكد»<sup>(١)</sup>، كما أن الأبوين إذا كانا ملتزمين فمن الوارد أن

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٨٨ باختصار وتصرف.

تسبب الخلافات الزوجية كرهًا لأمر الالتزام عند الولد بسبب الصورة السلبية التي من الممكن أن يكون عليها الأبوان ذلك الوقت من تجرد بالالتزام بالشرع، أو بسبب تعاطف الولد مع طرف ضد آخر.

فتخيل طفلًا يرى أباه وأمه (الملتزمين) كل منهما يفيض أمام الآخر بالآلمه وأحزانه منه، ويرى توجيه الاتهامات والسباب والدعاء عليه بالهلاك، مع ما يكون من انهيار الأم في البكاء . . فمن المؤكد أنه سيكون له أثرٌ سلبيٌّ في اختيار الولد لطريق الاستقامة لأنه يرى أعمدة الأسرة وقدواته تنهار أمامه ويستميله طرف دون الآخر وتكوين صورة سوداوية عن الطرف الآخر لتصرفاته وسلوكه ومسار حياته حتى ولو كان مستقيمًا.

أثر الخلافات الزوجية على الأبناء<sup>(١)</sup>:

١- تكوين عُقدة ضد الأزواج والزوجات، وخاصة عند البنات.

٢- تأثر المستوى الدراسي للأبناء، وذلك بسبب تشتت الفكر.

---

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ١١٦ بتصرف.

- ٣- بقاء الأبناء الكبار خارج المنزل لأطول وقت ممكن . .  
وماذا تنتظر من الخارج أن يؤدي بولدك؟!
- ٤- تكوين استعداد نفسي لانحراف الأبناء في المستقبل .
- ٥- تحكيم الأبناء في الخلافات مما يرهقهم ذهنيًا .
- ٦- شعور الأبناء بالذنب؛ كأن تقول الأم: «لولا وجودكم لما احتملت العيش مع أبيكم» .
- ٧- اهتزاز صورة الوالدين في عيون الأبناء وضعف الثقة بهما .
- ٨- خوف الأبناء على مصير حياتهم .
- ٩- التدليل الزائد للأبناء من أحد الأبوين بغرض إغاظة الآخر وتكوين جبهات متضادة بين الأم والأب تقوم على جذب كل منهما الأبناء في صفه .
- ١٠- اختلال ميزان التربية، إذا انفصل الزوجان أو طرد أحدهما من المنزل .

ولكن: هل يوجد أزواج بلا خلاف؟!

أتفق معك أيها السائل أنه لا يوجد أزواج بلا خلاف، ولكن هناك فنوناً لإدارة المشكلات والخلافات الزوجية؛ فمن الممكن

أن نختلف كأزواج ولكن لا يتحطم الأبناء، وأن يكون اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية، فما هو التصرف السليم حين الاختلاف<sup>(١)</sup>؟

- ١- عدم التعرض لنقاط الخلاف أمام الأبناء.
- ٢- إن حدث وعلموا بالخلاف نخبرهم أن الخلاف بين أي شخصين أمرٌ طبيعيٌّ.
- ٣- عدم إطالة فترة الخلاف مهما كانت الأسباب.
- ٤- محاولة إخفاء آثار الخلاف وممارسة الوالدين للحياة كالمعتاد.
- ٥- محاولة صرف نظر الأبناء عن الخلاف بإشاعة جو المرح، أو الخروج للتنزه أو ممارسة أعمال جماعية.
- ٦- يجب عدم إظهار الخلاف عملياً للأبناء؛ فلا يترك أحد الأبوين حجرة النوم لينام في حجرة أخرى، أو أن تبكي الأم أو تجلس صامتة.

٧- لا بدّ من تجنب الإهانات تماماً باللفظ؛ فتلك الإهانات تصيب الحالة العاطفية للطرف المُهان بشكل عام بنوع من الشروخ

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٨ بتصرف.

يصعب إصلاحها، ناهيك عما يصل للطفل من مشاعر تدمر  
اطمئنانه.

٨- تجنب إصدار الهمهمات والغمغات الساخطة  
المشمزّة، التي تنم عن الكراهية بلا صوت، فإن ذلك يثير  
شكوك الأبناء وقلقهم وتوقعهم للكوارث.

٩- لا بدّ من إفهام الطفل أن الحب هو الأصل في علاقة  
والديه مع بعضهما، ويتجلّى ذلك بالتعبير اللفظي عن هذه الرسالة،  
والعملي من خلال تعاملات الوالدين الهادئة والناضجة.

١٠- ينبغي ألا يسمع الأبناء أصوات الصراخ والغضب من  
خلف الباب المغلق بل يفضل أن تكون المناقشة بلا مؤثرات صوتية  
خلف الأبواب المغلقة.

ولا شك أن المرونة مطلوبة لحياة أكثر إشراقاً وصاحب  
مبادرة الحل والعلاج ليس الطرف الخاسر بأي حال من الأحوال؛  
بل هو صاحب الفضل؛ لقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجَرَ أَخَاهُ  
فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا  
الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

«من البديهي أن البيئة المثالية لتربية الأبناء هي منزل يسوده  
الوئام في كنف أم وأب متفاهمين محبين لطفلهما . . ولكن المناخ  
الأسري يكون في بعض الأيام جيدًا، ثم يكون في أيام أخرى غير  
ذلك . . وهذا أمرٌ طبيعيٌّ، والواجب على الوالدين محاولة زيادة  
الأيام المستقرة والسعيدة، والاستمتاع بوقت التواصل مع أولادك،  
كما أن الواجب على الوالدين -حتى إذا اشتط في الخصومة- أن  
يمارس من ضبط النفس والحكمة ما هو فوق ما يحتمله البشر  
حفاظًا على مشاعر أبنائهما»<sup>(١)</sup>.



---

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري ص ٥٨٨.

## غِيَابُ الْإِقْنَاعِ وَالْحَوَارِ

دخلت الرياح والشمس في تحدٍّ .. أيهما يستطيع إزالة معطف رجل يمشي في الطريق، فبدأت الرياح تصدر أصواتاً مخيفة وتهيج وتشتد وتزيد من سرعتها لتتزع معطف الرجل، وكلما ازدادت تمسَّك الرجل بالمعطف أكثر، وبعدما استنفدت كل سرعتها، أمسك الرجل بشجرة واحتمى بها، فاستسلمت الرياح. وبعد إعلان الرياح استسلامها ابتسمت الشمس، وطلعت بهدوء، وأرسلت أشعتها إلى المكان حتى ملأه الدفء، فبدأ الرجل يشعر بالحر ويتصب عرقاً، وبالفعل خلع معطفه .. وكسبت الشمس التحدي!

وبإسقاط ذلك المثال على موضوعنا نجد أن بعض المرابين يختار الأسلوب الشاق الصدامي -أسلوب الرياح- في التوجيه فتجد صدوداً عن الأمر وعدم تنفيذ إلا تحت التهديد .. تاركاً الأسلوب الأسهل والأيسر في التوجيه، القائم على الإقناع

والحوار «أسلوب الشمس» الذي يخلق الاستجابة الفورية للأوامر دون أدنى مشقة.

فأغلب الآباء للأسف يفتقد أسلوب الإقناع والحوار في تربيتهم لأبنائهم، فيتعامل كأنه في معسكر للجيش، تعاملًا يقوم على الأوامر المنزوعة من السببية أو المناقشة، فأغلب الأوامر تصدر جافة «قم صل»، «لا تستمع إلى الأغاني»، «لا تضيع وقتك» حتى لم يعد يفرق بين أولاده وبين الجنود المنفذين للأوامر بلا إعمالٍ للعقل، فهل وضّحت لابنك فضل الصلاة؟!، أو أوضحت له حرمة سماع الأغاني، أو أفنعته بأهمية الوقت لعدم تضييعه؟

وللأسف تجد مغبة هذا الأسلوب واضحة على الأبناء، وأنه خلّف الخبث في نفوس الأبناء، وخالّف تفلّتًا وتهرّبًا ما داموا بعيدين عن الرقابة، لأنه «لا يجوز فرض الأوامر فرضًا على الابن دون اقتناع منه بأدائها؛ لأن ذلك يولد في نفسه كبتًا ويفسد شخصيته»<sup>(١)</sup>.

أما الطفل الذي تربّى بالإقناع فيكون عنده من المبادرة الذاتية لتجنب الحرام والخطأ، وستكون نفسه سوية فيغير نفسه ومن

---

(١) «منهج التربية الإسلامية»، أ. محمد قطب ص ٣٥٦.

حوله، حتى وإن لم يكن هناك دافع من الوالدين «وجميل جداً أن يقتنع الطفل -أو الشاب أو الإنسان الناضج- بحكمة ما يفعل، فإن ذلك أيسر للتنفيذ القلبي وأرجى للثمرة من التنفيذ بغير اقتناع»<sup>(١)</sup>.  
وقد أقرَّ بها نوح عليه السلام في خطابه لقومه وهم على عدم اقتناع بدعوته فقال لهم: ﴿أَنْذَرْتُكُمْ هَا وَانْتُمْ هَا كَذِبُونَ﴾ [هود: ٢٨].

التربية بالاقتناع منهج رباني:

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

وقال أيضاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا آكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

بين الله حرمة الخمر بالإقناع فقال:

١- رجس من عمل الشيطان.

٢- إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة.

(١) المصدر السابق ص ٣٦٠.

٣- قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما .

التربية بالإقناع منهج الأنبياء والصالحين :

فقال يعقوب عليه السلام عندما نصح يوسف : قال : ﴿يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يوسف : ٥] .

فانظر إلى قوله :

١- ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتَكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ .

٢- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ .

ما قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك واكتفى بالأمر .

وقد قال إبراهيم عليه السلام لابنه وهو يخبره بأمر الذبح : قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعْتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢] ، لم يذهب إبراهيم فذبحه وهو نائم ولو فعل ما عليه من جرح أو ذنب ، فنتج عن التربية بالإقناع مبادرة ذاتية ، فما أن قال : ﴿إِنِّي آرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ وزين أسلوبه وقال : ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ جاءت الاستجابة من سيدنا إسماعيل : ﴿قَالَ يَتَّبِعْتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ .

وهاهو لقمان الحكيم وهو يعظ ابنه:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَضَيْنَا لِلإِنْسَنِ بُولَدِيهِ حِمْلَهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلِّ لِي فِي عَامَيْنِ أَنْ أَسْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ [لقمان: ١٣-١٨].

ففي الآية الأولى وهو ينهاه عن الشرك بالله أفقعه بأن الشرك بالله ظلم عظيم.

والآية الثانية أمره بإقام الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، فبين له أن ذلك من عزم الأمور.

والآية الثالثة حين يأمره بالتواضع فأقنعه بأن الله لا يحب كل مختال فخور.

وقد قال مربي البشرية ﷺ: «يَا مَعْشَرَ السَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ

الْبَاءَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَعَصَى لِّلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِّلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ  
فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

ما اكتفى رسول الله بالأمر بالزواج فحسب؛ بل بيّن فوائده  
لكي يُرغب الشباب فيه فقال: «فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»  
بل وزين البناء ببيان العلاج لمن لم يقدر عليه وأمره بالصوم.  
فلا بدّ أن يسود الإقناع في توجيه الأبناء ولا بدّ أن يعرف  
«لماذا الخطأ خطأ، ولماذا الصحيح صحيح . . اللهم أن يعرف  
لماذا يتجنب الخطأ ولماذا يفعل الصحيح»<sup>(٢)</sup>.

«فإن فرض الأوامر على الطفل دون اقتناع منه بأدائها يُشعره  
بأن ذلك العمل عبء ثقيل عليه، فيحاول التهرب منه، وواجب  
المربي هو محاولة احترام الطفل من خلال إقناعه بالأمر، كأن يبين  
للطفل فائدة قيامه بالعمل، ويحليه في عينيه وعليه ألا يواجه نواهيه  
إليه بطريقة استفزازية»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

(٢) «موسوعة التربية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ٣٨٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣١٥.

## فوائد التربية بالإقناع:

١- أن تُبنى العقلية السببية لدى الطفل؛ حيث نعوّده منذ الصغر أن يربط بين الظواهر وأسبابها والنتائج ومقدماتها، وذلك يقوّي لديه الرؤية المنطقية والمنهجية، ويساعده على النجاح في الحياة<sup>(١)</sup>.

٢- الحفاظ على كرامة الطفل؛ إذ أن الشرح ينطوي على اعتراف بأهمية الطفل، ونحن لا نريد أن نربي (إمعة) يتصرف كالتابع الذليل، وإنما نريد أن نربي رجلاً مستقلاً الشخصية، متميز الكيان، يعمل ما يقتنع به، ونحن حين نشرح للطفل مواقفنا وأسباب رفضنا لأمر يرغب القيام به فإننا نمنحه فرصة للدفاع عن رأيه والمجادلة عن وجهة نظره، وقد تكون صحيحة<sup>(٢)</sup>.

٣- توخّي المبادرة الذاتية عند الابن بدون رقابة عليه فتجده تلقائياً يتجنب الخطأ ويفعل الصحيح دون رقيب.

## إشارة تحذير:

فكما يجب علينا بيان الحكمة من الفعل لأبنائنا حتى يفعلوا، يجب ألا يعلّق الولد الأوامر والأفعال حتى يقتنع، فهذا هو الإفساد

---

(١) «دليل التربية الأسرية»، د. عبد الكريم بكار ص ١٤٤.

(٢) المصدر السابق.

بعينه، «وإلا فما العمل حين تكون الأرض كلها اجتمعت على أمر معين ولكن الطفل غير مقتنع بذلك، لضيق فهمه، هل سنتنظر حين يكبر ويتسع فهمه؟! . . إن الطبائع البشرية مختلفة، فمن الأطفال من هو ضيق المدارك، وآخر واسع المدارك وذكي، وآخر متمرد على كل أمر، فهل يجب إقناع كل هؤلاء»<sup>(١)</sup>.

فهناك أشياء في شريعتنا مثلاً لا تحتاج إلى إقناع؛ لأن طاعة الله ما هي إلا تسليم وإخبات ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

فالقصد هنا بيان حكمة الفعل في البداية فإن عاند وأظهر عدم الاقتناع فالواجب بعد خوض كل الأساليب المرغبة في الفعل بيان أن طاعة الله لا تحتاج إلى اقتناع؛ فهو أعلم بنا وربما يصلحنا ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللّٰطِيفُ الخَيْرُ﴾.

---

(١) «بناء مستقبل الأمة»، شريف الزهيري ص ١٤٢.

## الحوار

نتناول في هذا العنصر الشق الثاني من مشكلة هذا الفصل (غياب الإقناع والحوار) وهي غياب الحوار بين الوالدين والأبناء، حوار نقرب به المسافات ونردم به الأحاديث، حوار نفهم فيه قناعات الابن، حوار لحل مشاكله التي يعانيتها، حوار لبناء جسور من التواصل.

فلسان حال أغلب الأبناء خاصة أبناء الملتزمين: «لا أحد يسمعي .. لا أحد يفهمني»، وشاكين من عدم التواصل مع الأهل، أضف أيضًا ما يسمع منهم «إن أبي في وادٍ وأنا في وادٍ آخر» مما يؤدي إلى التحدُّث مع أطراف خارجية لكي يُشبع رغبته في «الفضفضة» والحوار مما يؤدي لمشاكل قد نتفادها.

فبالحوار نستطيع الدخول إلى العقول والقلوب بكل سهولة ويسر، أضف ما نجنيه من مساحات ونقاط للالتقاء والتقارب نستطيع من خلالها قيادتهم إلى طريق الخير والرشاد «ذلك أن هذا التواصل طريق الآباء إلى جعل علاقاتهم مع أبنائهم قوية متينة عميقة ومن ثمَّ .. يصبح الأبناء محبين لآبائهم، متعلقين برضاهم، ويصبح وزن البيت في حَسِّهم أثقل من المدرسة والشارع والأصدقاء، ويتيسر للآباء إصلاح ما يمكن أن يكون قد فسد في

نفوس الأبناء بسبب من كل هؤلاء ..»<sup>(١)</sup>.

### ○ أهمية الحوار في التربية<sup>(٢)</sup>:

١- هدم الحواجز التي تمنع الأبناء من مصارحة الآباء بكل شيء في حياتهم، واستشارتهم في كل أمر يستجد عليهم .. وهذا يُمكن الآباء من معرفة جميع مشاكل الأبناء وما يعانون منه، كما يمكنهم من توجيه أبنائهم على بصيرة في الاتجاه الصحيح المطلوب؛ لأن «التربية الصحيحة تتطلب معرفة المربي بنفسيات وعقليات وهموم من يقوم على تربيتهم، وأفضل طريقة لذلك هي إقامة علاقة منفتحة معهم يتمكنون من خلالها من البوح بما لديهم بمتنهى السهولة».

٢- إنقاذ الأبناء من خطر الصحبة السيئة؛ لأن انعدام التواصل بين الآباء والأبناء يدفع إلى اللجوء من الابن إلى أقران السوء من أصحابه يستشيرهم في أمره وفيما يظراً عليه من مشاكل، ليجد عندهم أسوأ الآراء، وأردأ الحلول التي قد ترتد عليه بالدمار والهلاك لو عمل بها ..!!

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري ص ٥٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ٥٩٧ باختصار وتصرف، «التواصل الأسري»،

عبد الكريم بكار ص ١٧، ٢١.

٣- «إن هذا يكشف لك عن المشكلات المحتملة في وقت مبكر، ويساعدك على تقديم المساعدة في الوقت المناسب» فلکم سمعت من الأبناء من يقول: «لو كان والدي حذرنى من هذا الأمر ما وقعت فيه».

٤- اكتساب الأبناء شعورًا صادقًا بحب وحنان وعطف الآباء عليهم . . وهذا الشعور بمحبة الآباء من أهم المشاعر الإنسانية؛ فالابن يميل دائمًا إلى من يلتمس منه المحبة والعطف نحوه، ويكون مشدودًا إليه وإلى توجيهاته وتعليماته، فإن لم يجد هذه المحبة عند الآباء بحث عن من يجد عنده هذا الشعور ليسد حاجته في هذا الجانب . . «هناك فيض كبير من الدراسات واستطلاعات الرأي التي تؤكد أن لجوء الأولاد والبنات إلى الإنترنت وإلى الأصدقاء كان بسبب ما أشرنا إليه من الفراغ العاطفي، ومن فقد الأذن التي تصغي إليهم والصدر الرحب الذي يتسع لمشكلاتهم وهمومهم، وهناك دراسات أيضًا كثيرة تشير إلى أن انحراف كثير من أبناء الأسر المحترمة المتدينة كان بسبب رفاق السوء الذين تعرفوا عليهم وخالطوهم في غفلة من أهلهم».

٥- تغيير القناعات الفكرية لدى الابن التي تقوده لاتخاذ القرارات، وقد طبّق هذا الأسلوب مؤدب البشرية ﷺ حين أتى إليه

شابُّ يقول: ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، فقال: «أذنه» فدنا منه قريباً فجلس، فقال: «أَتُحِبُّهُ لَأُمَّكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قال: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قال: فوضع رسول الله يده عليه، وقال: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» قال: فلم يكن الفتى بعد يلتفت إلى شيء<sup>(١)</sup>.

فانظر ما كان منه من تغيير لقناعات الشاب بمجرد فتح الحوار معه بهدوء ومحبة وما اكتفى بذلك بل ودعا له أيضاً.

(١) «السلسلة الصحيحة»، الألباني (٣٧٠).

٦- هي توجيه غير مباشر، فهي تزيد الثقة بالنفس، فلا يكون الإنسان سلبياً ينتظر أمراً ونهياً، أو إمعة يقبل كل ما يُلقى إليه، والإنسان أشد ما يكون صراحة مع نفسه وفكره عندما يواجهها بالحقيقة، بينما يصعب عليه في كثير من الحالات قبول ذلك من غيره؛ لأنه يشعر وكأنه تهديد لكيانه الفكري والنفسي»<sup>(١)</sup>.

### ○ حتى يكتمل البناء:

بعد أن تعرفنا على أهمية الحوار، لا مناص من حاجتنا إلى فتح الصناديق المغلقة للأبناء، نفتح ونفتش لعلنا نجد ما يوصلنا إلى إصلاح ما فسد، أو البقاء على الصالح منه، خاصة وإن كان الدافع عقدياً نبتغي منه نصره الأمة وإخراج نماذج تحمل هم الدين، ولكن بقيت عدة إرشادات لكي يتم البناء على الوجه الصحيح وهي:

١- يجب أن نخصص وقتاً للجلوس مع الأبناء لأن ذلك من حق أبنائنا علينا، والله تعالى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال رسول الله ﷺ: «فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك»، مصطفى محمد الطحان ص ١٩٨.

(٢) البخاري (١٩٦٨).

إذا فإنها مسؤولية كما أن إطعامهم وملبسهم كذلك، فيجب أن نوازن بين مسؤوليات الأبناء حتى لا يحدث خلل في العملية التربوية، وحينها لا ينفع الندم، «لقد أصبحنا كلنا أو معظمنا مشغولين خارج بيوتنا في أعمالنا الوظيفية أو التجارية، وكثيراً ما نرجع آخر الليل لنجد أبناءنا في نوم عميقٍ، وقد نصح الأبناء في مدارسهم، وهكذا . . بل ربما مضت أيام دون أن تقع أنظارنا على أبنائنا!! فأين التوجيه؟! أبوة التربية، أبوة العطاء والتجربة والخبرة»<sup>(١)</sup>.

إن السواد الأعظم منا مقصرون في التواصل مع أبنائهم وإنما جميعاً نستطيع أن نفعل أفضل مما فعلناه على هذا الصعيد، وإن الوعي بأهمية هذه المسألة يشكل الخطوة الأولى، وقد آن الأوان لنخطو تلك الخطوة.

فيا خادم الجسم تسعنى لراحته

أتعبت نفسك فيما فيه خسران

أقبل على الروح فاستكمل فضائلها

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

---

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري ص ٥٩٥.

٢- دع الابن يقوم بمعظم الحديث ولا تملك الحديث كله ، لأن ذلك يقود إلى فتح القلوب وراحة النفوس «فالآبناء والأمهات في حاجة شديدة إلى تطبيق قاعدة الاستماع مع آبنائهم ، ولو فقه الآباء هذه القاعدة وطبقوها ، لانتهد الكثير من المشاكل مع آبنائهم ، ولمنت الكثير من المشاكل»<sup>(١)</sup> .

فعلى الآباء والأمهات أن يتقنوا فن الإصغاء إلى آبنائهم ؛ لأن المستمع الجيد هو المحاور الناجح ، فكم سمعت من الآبناء من يقول : «لقد أعطاني أبي محاضرة اليوم . . .» .

٣- أن يكون الحوار بدون استقصاء وذلك يتم على محورين : الأول : عدم استقصاء المشاكل التي يمر بها الآبناء مثل مفاتحته في أمور البلوغ والانحرافات الجنسية ، ولكن لا يكون الحوار على مستوى الأسرة ويكون الأب أو الأم على درجة من الذكاء في الدخول للحوار .

الثاني : «فهم الصورة الذهنية التي كوّنها الأولاد عن الآباء وعن منزلهم وأسرتههم ومحاولة تعديلها ، وهذه مهمة للغاية ؛ لأن الاحتكاك الطويل بين أفراد الأسرة يجعل كل واحد منهم يشكل في عقله انطباعات عن باقي أفرادها ، فهذا طفل يعتقد أن أباه بخيل ؛

---

(١) «سحر الاتصال» ، محمد العطار ص٤٩ .

لأنه يظن أنه يملك الملايين وهو لا ينفق على أسرته كما ينفق والد صديقه الذي يعمل في وظيفة متواضعة . . هذه الصور والمعتقدات بقطع النظر عن صحتها وواقعيتها، تضعف التفاعل بين أفراد الأسرة وتجعل تأثير الأبوين في الصغار أقل مما ينبغي . . وأعتقد أن كثيرين منّا سيصابون بالصدمة من مدى التشوّه الذي لحق بصورتهم في أذهان أبنائهم»<sup>(١)</sup>.

وعليك أن تتقبل من ابنك كل ما يدور بباله عنك لكي تعرف كيفية الدخول إلى ما تريد، ولاحظ أن الأطفال أو المراهقين لا يحسنون -أحياناً- التعبير فيلجئون إلى العفوية والتلقائية في الكلام فعلينا أن ننبّه على عدم تجاوز حدود الأدب بكل هدوء .

٤- أكثر من الأسئلة المفتوحة التي لا تنتهي إجابتها بنعم أو لا؛ كي لا ينقلب الحوار إلى تحقيق .

٥- «مراعاة الجو النفس والاجتماعي لطرفي الحوار؛ فلا يصح أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق أو الحاجة إلى النوم أو الجوع»<sup>(٢)</sup> . . وحبذا أن يتم الحوار في أجواء لا تنقطع كثيراً مثل السفر أو ركوب السيارة .

---

(١) «التواصل الأسري»، عبد الكريم بكار ص ١٨ ، ١٩ .

(٢) «التربية ودورها في تشكيل السلوك»، مصطفى محمد الطحان ص ١٩٦ .

٦- «مراعاة الآداب الإسلامية، القولي منها والعملي في الحوار .. مثل احترام الآخر، التلطف في القول، الابتسامة، تجنب الغضب، تجنب اللوم المباشر .. إلخ»<sup>(١)</sup>.

٧- «ضرورة المحافظة على هدف الحوار .. حتى لا يخرج المتحاوران عن الموضوع بمناقشات جزئية أو جانبية»<sup>(٢)</sup>.

٨- خاطب على قدر العقول.

٩- التفاعل مع المتحدث بالإشارات والجسم والعينين مما يشجع على استمرار الحوار بطريقة ناجحة، «فبعض الناس تجد في وجوههم دائماً نوع من الجمود والبلاهة والتجهم، إنهم لا يعبرون، وتشعر وأنت تتحدث معهم وكأنك تتحدث مع تمثال أو دمية .. في حين أن التواصل البصري بين المتحاورين أيضاً مهم وقد قالوا قديماً: «العينان مغرقتا الكلام» ..»<sup>(٣)</sup> فمن الواجب أن تعطي انطباعات إيجابية لمن تحاوره مما يعطي المتحدث شعور باهتمامك به وبحديثه فيتكلم أكثر وأكثر.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «التواصل الأسري»، عبد الكريم بكار ص ٦٠.

١٠- كن هادئًا قدر الإمكان؛ فكثير من الأبناء يكون رد فعل الأب معوقًا أساسيًا في فتح الحوار، «فإذا أردت لحوارك مع أبنائك أن يستمر، فتنبّه إلى ردود أفعالك لحديثهم حتى وإن عبّر الأبناء عن مشكلة، فينبغي أن تكون هادئًا قدر الإمكان، فهذا سيجعله أكثر جرأة على البوح والحديث، ومن ثم تتدارك مشكلاتهم قبل أن تتفاقم»<sup>(١)</sup>. وقد طبّق هذا الأمر خير البشر حينما جاء الشاب يستأذنه في الزنا، فانظر ما كان منه من هدوء واستيعاب للشاب، ولولا أن الشاب متوقع رد فعل الرسول ما ذهب إليه من الأساس.

١١- استخدم أسلوب الرسائل مع أبنائك فهذا يساعدهم في البوح بما عندهم بكل سهولة ويسر، حقًا ما أمتع هذا الأسلوب!! يا لها من متعة وأنت تقرأ رسالة من ابنك يبوح لك بما عنده من مشاعر ومشاكل وآراء وطموحات!! فبعض الأبناء لا يحسن الكلام كما يحسن الكتابة.



---

(١) «كيف تحاور أبنائك»، محمد أحمد عبد الجواد ص ٧٣.

## القَسْوَةُ

وقسا ليزدجروا ومن يك حازماً

فليقس أحياناً على من يرحم

بيّن الشاعر أبو تمام من خلال أبياته حدود ومقدار القسوة في التربية التي عَمِيَ عنها الكثير من الأباء وصموا ثم عموا وصموا عنها . . فليس إلا الضرب والإهانة والزجر حتى انقلب بيت الشعر من «وقسا ليزدجروا» إلى «وقسا لينحرفوا»، وللأسف تجد بعض الملتزمين ينتهج نهج القسوة المفرطة في تربية أبنائه، ويجبرهم على فعل الطاعات ويضربهم لمجرد الخطأ الصغير، مما يترك أثراً سيئاً في نفوس الأبناء ويحيد بهم عن طريق الاستقامة.

ولنا في مشكلة القسوة عدة وقفات ستكون شاملة للعلاج:

○ ١- الرحمة هي الأصل:

«إِنَّ الرَّقْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانُهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

شأنه»<sup>(١)</sup>، هكذا وضح لنا رسول الله ﷺ قاعدة أصولية في التربية أفادت أن الرفق واللين هما الأصل في معاملة الأولاد، فما عُرفَ ﷺ إلا بملاطفته ومداعبته للأطفال .

فإذا تدبرنا في أحاديثه ﷺ نجد تأكيداً على هذا المبدأ؛ فعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن وقال لهما: «يَسْرًا وَلَا تُعْسِرَا، وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا»<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً ﷺ لأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: «عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ»<sup>(٣)</sup>، وعندما أعطى النبي لعائشة ناقة صغيرة قال لها: «يَا عَائِشَةُ، ارْزُقِي»<sup>(٤)</sup>، فالناقة الصغيرة لم تتعود على الحمل والسير وطاعة صاحبها، فتحتاج إلى ترويض برفق، فمن باب أولى الرفق بالأبناء من البهيمة .

ومن ذلك نعلم أن الرفق هو مفتاح قيادة قلوب البشر سواء كانوا أبناء أو غير ذلك لقوله ﷺ: «إِنَّا لِلَّهِ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ،

---

(١) مسلم (٢٥٩٤).

(٢) البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) البخاري (٦٠٣٠).

(٤) «صحيح أبي داود»، للألباني (٢٢٤٠).

وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»<sup>(١)</sup>.

## ○ ٢- أضرار القسوة:

«ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المالك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة، ولذلك صارت له عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له»<sup>(٢)</sup>.

هكذا أقر ابن خلدون في مقدمته قاعدة تربوية عظيمة نستشف منها الأضرار التي تلحق بالأبناء بسبب القسوة<sup>(٣)</sup>:

١- الخوف: يؤدي كثرة العقاب أو شدته إلى الخوف، والخوف بدوره يؤدي إلى رد فعل دفاعي غير سوي، كذلك فإننا نجد انفعال الخوف يؤثر على وظائف الأعضاء التي يتحكم فيها الجهاز العصبي، مما يؤدي إلى الأمراض النفسية والجسمية ويؤثر في سلامة التفكير أو الحركة.

---

(١) مسلم (٢٥٩٣).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» ص ١١١٩، طبعة مكتبة الأسرة.

(٣) «الموسوعة التربوية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ٤٠٥، باختصار وتصرف.

٢- فقدان الثقة بالنفس: إن العقاب البدني أو الإفراط في النقد والتوبيخ يؤدي بالقطع إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه خصوصًا إذا كانت تلك العقوبات أمام الناس.

٣- العناد: وبالعناد يحاول الابن الانتقام ممن يعاقبه على طريقته فحينما يعاقب بشدة على أمر معين تجده يفعل العكس عندًا فيمن يعاقبه، فكثيرًا ما أجد شكاوى من أبناء الملتزمين أنهم ما التزموا بسبب أن آباءهم استخدموا معهم القسوة والإجبار، فهذا حائق لحيته وهذا تارك لحلقات المسجد وآخر والعياذ بالله تارك للصلاة، وهذا إن لم يكن ظاهر للأب سيفعله في الخفاء لأنه تعلم المكر والخديعة من كثرة الضغط عليه، فكما شرحنا سلفًا أنه لا بد من الاستعانة بالإقناع في أمور التربية، وقد قال رب العزة على لسان نوح عليه السلام لقومه: ﴿أَنْزِلْكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هود: ٢٨].

٤- تحوُّل الوالدين إلى عدو للطفل:

كما أن العقاب يجعل الطفل يخاف من الوالدين أو المعلم، الذين هم مصدر للعقاب، فلا يقيم معهم علاقة دافئة ويظل جو الأسرة متوترًا أو غير صالح للبناء ويصبح الطفل غير مستعد للتقبل منهم؛ لأنهم في اعتباره سلطة قاسية مسلطة فوق رأسه، فكم من

الأبناء تحاورت معهم وذكروا لي عن الكره الذي يكنوه لأبائهم بسبب تسلطهم مما أدى بأحدهم إلى الدعاء على أبيه!!  
فما أسوأ الحياة عندما يكون قدوم الأب غير مرغوب فيه،  
ويصيب الكل الكآبة وحين يخرج تصفو الحياة وتنفك القيود.

#### ٥- الحرمان من السعادة والاطمئنان:

وحين يحرم الطفل من السعادة والأمن في أسرته، فسيبحث عن فرص السعادة خارج نطاق الأسرة وقد ينخرط مع رفقاء السوء . . وهكذا حال كثير من الأبناء خشية الاحتكاك بالوالدين.

#### ٦- الاتكالية وفقد المبادرة:

لأن الطفل هنا يتحول إلى دمية بيد المربي، يشاهد بعين المربي، ويسمع بأذنه، وينطق بلسانه، ويتنازل بذلك عن الحياة التي تناسب تفكيره إرضاء لمربيه.

#### ٧- العدوان وحب الانتقام:

كثرة العقاب أو قسوته يكشف للطفل عن سلوك عدواني فيمن يعاقبه، ومن ثم فالطفل يقلد هذا السلوك بسلوكيات عدوانية مختلفة في البيت أو المدرسة، والعدوان هو أبرز وأهم مخاطر العقاب البدني وأكثرها شيوعاً، ومن ناحية أخرى، فإن العقاب البدني يجعل الطفل يرى أنه من حق الكبار ضرب الصغار، فسنجده بعد فترة قصيرة يضرب من هو أصغر منه.

## ٨- ضعف شخصية المربي :

«ربما لا نجاوز الحقيقة حين نقول: أن لجوء الأب والمربي للضرب دائماً، هو دليل على نقص قدراته في مواجهة المشكلات، بل قد يصل -بعض الأحيان- أن يكون دليلاً على ضعف شخصية المربي»<sup>(١)</sup>.

## ٩- أي جيل نخرج؟!

وكما قال ابن خلدون: «من كان مرباه بالعسف والقهر .. حمل على الكذب والخبث».

ومما ينبغي أن يُعلم أن العقائد لا تستقر في النفوس من تحت وطأة الشدة والعنف القهر على الإطلاق، وإنما تستقر بالإقناع والحجة والدليل، فقد قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال أيضاً: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، حتى المسلمين في حروبهم كانوا لا يجبرون أحداً على الدخول في الإسلام عنوة وإنما من أراد البقاء على دينه بقى ودفع الجزية؛ لأن العقيدة لو استقرت يكون من الصعب إزالتها، ولو تعرض صاحبها للموت.

---

(١) «اللمسة الإنسانية»، د. محمد بدري ص ٤٥٣.

فلا تعجب من ولد أُجبر على إطلاق لحيته والحضور في المسجد، وبعدها تجده يجلس في المقاهي وتنطلق منه أقدر الألفاظ، كذلك لا تندش حين ترى بنتاً مجبورة على لبس النقاب وتجدها هي نفسها التي تسمع الأغاني وتدخل السينمات . . فأبي جيل نخرج؟!!

فلنعلم أن بالإجبار والقسوة لا نخرج إلا جيلاً يناقض نفسه لا يعرف إلا الكذب والتلون.

○ ٣- كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ:

«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ»<sup>(١)</sup> بهذه الحقيقة النبوية وضح لنا رسول الله أن ما من أحد من العالمين إلا ويخطئ، لذا وضع الإسلام قاعدة العقاب، نعم؛ فترية بلا تأديب هباء «إن التربية الرفيقة اللطيفة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء، ولكن التربية التي تزيد من الرقة والطف والحنو تضر ضرراً بالغاً لأنها تنشئ كياناً ليس له قوام، ومن هنا كان لا بدّ من شيء من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار، لصالحهم هم أنفسهم قبل صالح الآخرين»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «صحيح الترغيب والترهيب»، الألباني (٣١٣٩).

ولقد استخدم ﷺ أسلوب العقاب مع زوجاته وأصحابه ولكنه المربي الأول كان همه تعديل السلوك لا التشنيع والإهانة، فمرة بالتوجيه، ومرة بالعتاب، ومرة بالتوبيخ.

«وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة، وتكره ذكرها على اللسان، ولكن الجيل الذي أريد له أن يتربى بلا عقوبة في أمريكا جيل منحل متميع مفكك الكيان»<sup>(١)</sup>.

فلا تربية من غير تأديب «فإنه لا بدّ من ممارسة المنع والحظر والعقوبة والحرمان من بعض الميزات حتى ينشأ النشأة الصالحة المرضية»<sup>(٢)</sup>.

ولكن هناك بعض الإشارات في هذا العنصر تضيء لنا الطريق:

#### أ- هناك فرق بين الحزم والقسوة:

«التأديب الصحيح هو التأديب الذي يحمل رسالة واضحة بالخطأ الذي ارتكبه الطفل وبضرورة عدم تكراره في المستقبل، وهذا يعني أن التأديب ينبغي أن يتم على قدر الإمكان في إطار

(١) «منهج التربية الإسلامية»، أ. محمد قطب ص ١٩١.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٩.

(٣) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ١٠٣.

العلاقة الحسنة بين الأبوين والصغار؛ لأن العلاقة الدافئة هي الحبل السري الذي يتغذى منه الطفل وينبغي المحافظة عليها بكل وسيلة، واستهداف العودة إليها عقب كل تأديب وكل عقوبة . . إن التأديب الحازم يعني أنه منطقي وحكيم ومنصف وبعيد عن الإفراط»<sup>(١)</sup>.

### القسوة:

- ١- أما القسوة فهي عياء لا تأخذ شيئاً من ذلك في الاعتبار ولذلك فليس لها حدود، بل هي منفلته.
  - ٢- هي صدى انفعال تفوح منه رائحة الغضب المستشيط والسيطرة والخروج عن حد المعقول.
  - ٣- تستهدف القسوة سلب إرادة الشاب المراهق وجعله عاجزاً عن إصلاح نفسه لأنها مشفوعة بالانفعالات.
  - ٤- القسوة لا تحقق إلا فقدان الشخصية والتبعية وفقدان الإحساس بالمسؤولية وتحول دون تبلور الشخصية السوية.
- «القسوة عامل هدم وتدمير».

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠٦.

## الحزم:

١- يقال إن الحزم «متبصر» أي يقدر حالة الأبناء والبنات، والظروف المحيطة بهما، والوضع النفسي لهما، ولذلك فهو يتحرك ضمن حدود معلومة.

٢- هو صدى الحكمة والعقل والاهتمام بمصلحة الشاب أو الشابة.

٣- يستهدف الحزم مساعدة الشاب على إصلاح نفسه بنفسه، فهو عادة مصحوب بالحب الصادق.

٤- الحزم يساعد على الاستقلال التدريجي وتحقيق قدر أكبر من التكيف.

«الحزم عامل بناء».

## ب- مراعاة طبيعة الطفل:

من أهم الإشارات التي نود لفت الأنظار إليها ألا وهي مراعاة طبيعة الابن؛ فهناك من الأبناء من هو عنيد، وآخر هادئ، وثالث ذكي، كما أن بعضهم يصلح معه التوبيخ، وآخر النظرة العابسة، وبعضهم لا يصلح معه إلا الضرب ولكن بضوابطه.

وهناك وجه آخر في الفروق ألا وهو عامل العمر؛ فابن الخامسة ليس كابن الخامسة عشر، «نحن نعرف أن طبائع الأطفال

ليست واحدة، ففيهم المسالم المطواع الهادئ، وفيهم المشاغب المشاكس العنيد، ومن هنا، فإن احتياجهم إلى التأديب والصرامة في التربية ليس على درجة واحدة، لكنهم جميعاً في حاجة إلى الشعور بوجود سلطة تسدد وتقوّم وترشد، وتحول دون قيام الطفل بأشياء غير ملائمة، أو تنطوي على نوع من الأذى لنفسه أو لغيره»<sup>(١)</sup>.

ومما ورد أيضاً في هذه الإشارة: «أن الأولاد يتفاوتون فيما بينهم ذكاء ومرونة واستجابة . . كما أن أمزجتهم تختلف على حسب الأشخاص؛ فمنهم صاحب المزاج الهادي المسالم، ومنهم صاحب المزاج المعتدل، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد . . وكل ذلك يعود إلى الوراثة وإلى مؤثرات البيئة، وإلى عوامل النشأة والتربية»<sup>(٢)</sup>.

### ج- التدرج في المعاملة:

من الأخطاء الشائعة بين المربين استخدام أسلوب العقاب البدني في علاج الأخطاء كوسيلة أولى ووحيدة ناسين أنهم يسلكون الطريق من آخره، ناسين أن الكي آخر العلاج.

(١) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ١٠٣.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٥٤٦.

«فضرب الولد عند الحاجة لتأديبه وتربيته جائز، ولكن يجب أن يعي الأب المسلم أن آخر العلاج الكي، فإن استخدام أسلوب العقاب البدني يجب أن يكون هو الوسيلة الأخيرة في العقاب، فإن تعود الطفل وألفه عند كل خطأ يقع فيه؛ فإنه لن يصح له تأثير بعد ذلك، إلى جانب أن وسائل العقاب الأخرى مثل الهجر والحرمان من المصروف وغيرهما من العقوبات النفسية لن تفلح معه بعد فشل العقاب البدني، لهذا كان لزاماً على الأب الواعي أن يتدرج في إيقاع العقوبة على الطفل فيبدأ بعدم التشجيع مثلاً، ثم الإعراض عنه وإعلامه بعدم الرضا عنه ثم الزجر والعبوس في وجهه، ثم الهجر والمقاطعة، ثم حرمانه من محبوباته وهكذا، حتى يصل إلى العقوبة البدنية مع التدرج فيها من الضرب الخفيف إلى الأشد . . . وتعد هذه الأخيرة هي أشد أنواع العقوبات»<sup>(١)</sup>.

«مما نوهنا عنه قبل قليل أن العقوبة التي يجريها المربي للولد يجب أن تكون في مرحلتها الأخيرة -الضرب- ومعنى هذا أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يمر عليها المربي قبل

(١) «مسؤولية الأب المسلم»، عدنان باحارث ص ٨٤، ٨٥.

اللجوء إلى الضرب لعلها تؤدي الغرض في تقويم اعوجاج الطفل،  
ولعلها تصلح من شأنه وترفع من مستواه الأخلاقي والاجتماعي،  
وتجعله إنساناً سوياً»<sup>(١)</sup>.

وقد أقر الله تعالى التدرج في العقوبة في القرآن: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ  
شُرُوهُمْ فَعُظُوهُمْ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنِ أٰطَعَكُمْ فَلَا  
تَبِعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

فهذه ثلاث خطوات:

- ١- فعظوهن.
  - ٢- واهجروهن في المضاجع.
  - ٣- واضربوهن.
- فهذا دليل على أن اللجوء للضرب لا يجوز إلا بعد اليأس من  
كل وسائل التقويم.

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٥٤٨.



## د- التأديب جهد تكميلي :

«هذه قضية مهمة للغاية؛ حيث إن الذي يساعد على بناء شخصية الطفل على نحو جيد هو تلك المبادرات العاطفية التي يلمسها الطفل من أبويه، وتلك الإرشادات التعليمية والتوجيهية التي يسمعها منهما، الطفل من خلال اقتدائه بأبوين محترمين، ومن خلال عيشة في أسرة كريمة يتعلم كل الفضائل التي ينبغي أن يتعلمها، وإن لم يستطع الالتزام بما يعرف بوضوح أن عليه الالتزام به، العقوبات لا تنشئ طفلاً ولا دولةً ولا مجتمعاً، لكنها تحمي الطفل والدولة والمجتمع، وما ينبغي أن يستغرقه جهد التأديب محدود جداً بالنسبة للجهد الذي ينبغي أن يبذل في تكوين عقلية الطفل ونفسيته . . القاعدة العامة في هذا هي: المزيد من الجهد التربوي الإيجابي سوف يقلل من الحاجة إلى التأديب والعكس صحيح»<sup>(١)</sup>.

تأديب



الجهد التربوي



تأديب



الجهد التربوي



---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، د. عبد الله ناصح علوان ص ٥٤٨ باختصار  
وتصرف.

## هـ- أنواع الإرشاد<sup>(١)</sup>:

الإرشاد المباشر: روى البخاري عن عمر بن أبي سلمة قال:

كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يَا غُلامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»<sup>(٢)</sup>.

الإرشاد بالإشارة: روى البخاري عن ابن عباس قال: كان

الفضل رديف النبي ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نَعَمْ»<sup>(٣)</sup>.

الإرشاد بالتوبيخ: روى البخاري عن أبي ذر قال: إني ساببت

رجلاً فغيرته بأمه -[قال له: يا ابن السوداء]- فقال لي النبي ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ حَوْلَكُمْ،

---

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ٣٤٨ باختصار وتصرف.

(٢) البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٣) البخاري (١٨٥٥)، ومسلم (١٣٣٤).

جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

الإرشاد بالتعريض: قال النبي ﷺ: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال: ليتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم»<sup>(٢)</sup>.

الإرشاد بالعتاب: عن عبد الله بن بسر قال: بعثتني أمي إلى رسول الله بقطف من عنب فأكلته، فقالت أمي لرسول الله: هل أتاك عبد الله بقطفٍ؟ فقال: «لا»، فجعل رسول الله إذا رأيته قال: «عُدْرٌ عُدْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

قال أنس بن مالك: كان رسول الله من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب -أي لتلك الحاجة- وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله، فخرجت حتى أمر على

(١) البخاري (٣٠).

(٢) البخاري (٧٥٠).

(٣) ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال»، تحقيق مازن السرساوي (٤٢١٧).

صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله قابض بقفائي من ورائي، فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنيس اذهب حيث أمرتك»<sup>(١)</sup> قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله.

الإرشاد بالزجر: ورد في الصحيحين عن أبي هريرة، قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ: «كخ .. كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة»<sup>(٢)</sup>.

الإرشاد بالهجر أو المقاطعة: وقد نهج رسول الله ﷺ نموذجًا عمليًا للمقاطعة لمن تخلف عن معركة تبوك، يقول كعب بن مالك: «نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا -أي الثلاثة- من بين من تخلف عنه، قال: فاجتنبنا الناس وقال: تغيروا لنا، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة»<sup>(٣)</sup>.

الإرشاد بالقدوة العملية: أن النبي ﷺ مرَّ بغيلام وهو يسلخ شاة فقال له رسول الله: «تنح حتى أريك»، فأدخل يده بين

(١) أبو داود (٤٧٧٣).

(٢) البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

(٣) البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبطن، ثم مضى فصلى بالناس ولم يتوضأ<sup>(١)</sup>.

الإرشاد بالمحاولة والتكرار: روى أبو داود والترمذي عن كعدة بن الحنبل رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه، ولم أسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟»<sup>(٢)</sup>.

الإرشاد بالتخويف: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «علقوا السوط حيث يراه أهل البيت، فإنه أدب لهم»<sup>(٣)</sup>.

الإرشاد بالضرب:

من الناس من لا يرتجى نفعه

إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا يطمع في طيبه

إلا إذا أحرق بالنار

---

(١) أبو داود (١٨٥)، وابن ماجه (٣١٧٩). وقال الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» (٣٣٩/١): صحيح.

(٢) أبو داود (٥١٧٧)، والترمذي (٢٧١٠). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٨١٠/٢): صحيح.

(٣) الطبراني (١٠٦٧١). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٧٤٤/٢): حسن.

فكما ذكرنا من قبل أن الأبناء يتفاوتون في طرق الإرشاد، فمن الأبناء لا ينصلح حاله إلا عند آخر مرحلة ألا وهي الضرب، ولكن للأسف تجد بعض الآباء يضرب كأنه في مشاجرة أو أنه أمسك بسارق لا يدري أنه مطالب بقدر معين من الضرب، وأن الإسلام وضع حدودًا لهذا النمط من التأديب لأنه إن زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه؛ فمن الآباء من تجده يضرب ابنه بسلك المسجل، وآخر يضرب ابنه مائة بالعصا على يده، وثالث يربط ابنه حتى الصباح . . فماذا تنتظر من هؤلاء الأبناء حين يكبرون؟! أو حتى بعد العقوبة؟! والله ما أرى أمامي إلا حديث رسول الله ﷺ: «أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده»<sup>(١)</sup>.

فلماذا يا أخي الفاضل نتبع هدي رسول الله في كل شيء إلا في التربية، فعبادة بلا إتباع هباء وعدم، كذلك تربية بلا إتباع لا تصلح.

فهذه بعض الآداب التي وصّى بها رسول الله في التربية كي يكون الضرب لتعديل السلوك وليس لإفراغ الغيظ<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الطبراني (٤٠٧٦). وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» ص ١٣٨ ضعيف.

(٢) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٥٥٢ باختصار وتصرف.

١- ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها؛ فالتوجيه المباشر ثم العتاب ثم التوبيخ ثم الهجر ثم الحرمان من الشيء بعد كل هذه الوقفات نلجأ إلى الوقفة الأخيرة أيضًا يلزمنا أيضًا التدرج في استعمال الضرب.

٢- ألا يضرب وهو في حالة عصبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد؛ أخذًا بوصية النبي ﷺ: «لا تغضب»، وروي أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قد أمر بضرب رجل، فلما أقيم للضرب، قال: اتركوه، ولما سئل في ذلك قال: «وجدت في نفسي غضبًا عليه، فكرهت أن أضربه وأنا غضبان».

٣- ألا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن أخذًا بالحديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر»<sup>(١)</sup>، فقد أمر النبي بالضرب من عشر؛ وذلك للتفريط في عمود الدين، فمن باب أولى أن يطبق ذلك في التربية وتعديل السلوك.

---

(١) سبق تخريجه.

٤- أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم، وأن يكون اليدين والرجلين بعصا غير غليظة وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحلم، وإذا شارب الولد على البلوغ ورأى المربي أن الضربات الثلاث لا ترجع، فله أن يزيد حتى العشرة لقوله ﷺ: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله تعالى»<sup>(١)</sup>، وتذكر قوله ﷺ: «من ضرب سوطًا ظلمًا، اقتص منه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

٥- أن يتجنب في الضرب الأماكن المؤذية كالرأس والوجه والصدر والبطن؛ لقوله ﷺ: «ولا تضرب الوجه»<sup>(٣)</sup>، ومما يؤكد هذا، أن النبي لما أمر برجم الغامدية، أخذ حصاة كالحمصه ورماها بها، ثم قال للناس: «ارموها واتقوا الوجه»<sup>(٤)</sup>، وإذا كان عليه الصلاة والسلام منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها، فإن ضرب الوجه على ما ليس فيه إتلاف

(١) البخاري (٦٨٤٨)، ومسلم (١٧٠٨).

(٢) الطبراني (١٤٤٥). وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (٥/٤٦٧): حسن.

(٣) أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠). وقال الألباني في «صحيح أبي داود - الأم» (٦/٣٥٩): حسن.

(٤) أبو داود (٤٤٤٤).

للنفس - كالتعزير والتأديب - يكون ممنوعاً من باب أولى، أما الضرب على الصدر أو البطن فإنه ممنوع أيضاً لكونه يؤدي إلى أضرار بالغة تقضي إلى الوفاة أحياناً، كذلك الفرج لقول النبي ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>(١)</sup>.

٦- إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة، فيعطى له الفرصة أن يتوب عما اقترف، ويعتذر عما فعل، ويتاح له المجال لتوسط الشفعاء ليحولوا - ظاهراً - دون العقوبة من أخذ العهد عليه، حتى لا يعود للخطأ مرة أخرى.

٧- أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الإخوة أو من الرفقاء .. حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات.

٨- إذا استجارك ابنك بالله فإن رسول الله يدعوك للتوقف عن الضرب: «إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارفعوا أيديكم»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) ابن ماجه (٢٣٤٠)، والبيهقي (١١٨٧٧). وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٤٠٨/٣): صحيح.

(٢) الترمذي (١٩٥٠). وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (٨٣): ضعيف جداً.

٩- إذا استعمل عصا أو سوط فله شروط:

فيجب أن يكون بين اللين والشدة فقد روى مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم، أن رجلاً اعترف بنفسه بالزنا على عهد رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله بسوط فأتي بسوط مكسور، فقال: «فوق ذلك»، فأتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال: «بين هذين» فأتي بسوط لان ورُكب به فأمر به فجلد<sup>(١)</sup>.

ويجب أن يكون الضرب مفرقاً لا في مكان واحد، أن يكون بين الضربتين زمن يخف به ألم الأول، ألا يرفع الضارب السوط حتى يرى بيض إبطه.

#### ز- العقوبة وسيلة:

فكما قلنا إن أمر العقوبة ليس إلا لتعديل السلوك؛ إذا فإنه وسيلة وليست غاية في حد ذاتها، فمن هذا المنطلق يجب أن نخطط قبل أن نعاقب من حيث ردود الأفعال، وكيفية عودة العلاقة بعد التوتر «العقوبة في سياق التربية أشبه (بالتحويلة) نخرج فيها عن الطريق لنعود إليه بعد انتهائها، وكلما كانت التحويلة أقصر وأوضح

---

(١) مالك في «الموطأ» (١٢). وقال الألباني في «إرواء الغليل» (٧/٣٦٣): ضعيف.

كان ذلك أفضل»<sup>(١)</sup> فينبغي أن يكون همُّ المربي هو تعديل السلوك وليس العقاب في حد ذاته، وحين يعاقب يجب أن يعرف كيف يتم إعادة العلاقة بشكل سليم لا أن تعود فقط.



---

(١) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ١١١ باختصار.

## القُدوةُ

يعتقد الكثير من الآباء أن الأطفال هم المسؤولون عن تصرفاتهم وسلوكياتهم، وهذا اعتقاد خاطئ؛ فالوالدان هم المسؤولون عنها في المقام الأول، فقد قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، فهذا توضيح وإشارة إلى أن الطفل مثل الورقة البيضاء يكتبها والديه، ولكن لا تكتب بالأقوال وإنما بالأفعال، فابنك يرى الحسن ما تراه حسنًا، ويرى القبيح ما تراه قبيحًا.

فهذا السبب يعد من الأسباب المهمة في اعوجاج أبناء الملتزمين وهو غياب القدوات، فالابن لا يرى إلا قميصًا ولحيةً محفوفةً بكسل في الطاعات وغرق في جمع الدنيا، يرى أبا لا يعطي للدين إلا الفتات من وقته، يرى أمًا أخفت وجهها عن الناس وما أخفت كذبها وغيبتها، يرى تناقضًا بين الأقوال والأفعال من والديه أسلبته الثقة فيهم، إلا من رحم الله.

فما العجب في ابن لأب ملتزم وجد أبًا لا يحافظ على الصلاة  
في أوقاتها، فهو على خطاه يسير؟!!

وما العجب في ابن لأب ملتزم يجد أباه متميعًا في حمل أمانة  
الدين والدعوة إليه من أن يقتني أثره؟!!

ولم السؤال عن بنت لأم ملتزمة حين تجد أمها تتابع  
المسلسلات والأفلام فهي تتبع نهجها؟!!

### ○ قالوا عن القدوة:

«القدوة في التربية هي أفضل الوسائل جميعًا وأقربها إلى  
النجاح، من السهل تأليف كتاب في التربية، ومن السهل تخيل  
منهج، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول، ولكن هذا  
المنهج يظل حبرًا على ورق، معلقًا في الفضاء؛ ما لم يتحول إلى  
حقيقة واقعية تتحرك في واقع الأرض، ما لم يتحول يترجم سلوكه  
وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه، عندئذ يتحول  
المنهج إلى حقيقة، يتحول إلى حركة، يتحول إلى تاريخ.

ولقد علم الله سبحانه -وهو يضع ذلك المنهج العلوي  
المعجز- أنه لا بدّ من ذلك البشر، لا بدّ من قلب إنسان يحمل  
المنهج ويحوّله إلى حقيقة لكي يعرف الناس أنه حق . . ثم

يتبعوه . . لا بدّ من قدوة»<sup>(١)</sup> .

«إن رحلة تربية الأبناء على النحو الجيد سوف تبدأ من عندنا حين نقرر أن نربي أنفسنا، ونضغط عليها كي نربي أبنائنا، ومن غير هذه العزيمة فإن الخسارة ستكون فادحة!

إن الأمة الفقيرة ليست هي التي لا تملك الكثير من المال، لكنها تلك التي يلتفت أطفالها يمنة ويسرة، فلا يرون إلا النماذج الباهتة، ورجالاً ونساءً من الدرجة الرابعة، وأن الأسرة الفقيرة ليست هي التي تسكن في بيت متواضع، لكنها الأسرة التي لا يرى صغارها في كبارها شيئاً يملأ العين، هذا هو المعيار الأخلاقي والحضاري للغنى والفقير»<sup>(٢)</sup> .

### ○ أهمية القدوة<sup>(٣)</sup>:

١- أن القدوة وسيلة من الوسائل التي تربي عليها النبي الكريم لسلوك منهج الدعوة الذي سلكه الأنبياء من قبله؛ حيث عُرضت عليه حياة الأنبياء في قصص القرآن ليقتدي بهم في إبلاغ

(١) «منهج التربية الإسلامية»، أ. محمد قطب ص ١٨٠.

(٢) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ٣٢.

(٣) مقالة بعنوان: «القدوة والافتداء»، يوسف عبد الله العليوي، موقع المربي.

الرسالة، وقد قال الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أُفْتَدِ﴾ [الأنعام: ٩٠].

٢- أن الإنسان جُبل على المحاكاة والتأثر، وفي الوقت نفسه يحب البطولة والكمال، فإذا رأى من ذلك شيئاً كان أوقع في نفسه من الحديث المجرد عن تلك الكمالات والبطولات خاصة في مرحلة المراهقة والشباب، فإنها تشهد قابلية شديدة للاستهواء، «ففي أوقات الشدائد، وعند المحركات والاختبارات، لا يتذكر المرابي ما سمعه منك وإنما ما رآه»<sup>(١)</sup>.

٣- أن القدوة تنفع الآخرين بإمكانية بلوغ الفضائل؛ فربما يتحدث المتحدث عن الفضائل التي ينبغي أن يتحلى بها، أو المواقف التي ينبغي أن تُوقف فيسمع الناس حديثاً يظنونهم من عالم الخيال، ولا يمكن تطبيقه على أرض الواقع فإذا رأوه واقعاً أدركوا بإمكانية بلوغها.

٤- أن الفعل أبلغ في إفهام المتلقين من القول المجرد عنه، فإن المتحدث يتحدث إلى الناس وهم مختلفة عقولهم في مدى استيعاب الكلام وفهمه، فيخرج السامعون وهم يعبرون عن الكلام

---

(١) سلسلة مهارات المرابي، «القدوة»، وليد الرفاعي.

حسب ما أدركته عقولهم، ولكن ماذا لو كانوا يرون أمامهم مواقف وأفعالاً؟ أتراهم يخطئون في فهم ما يرونه بأبصارهم وفي نقله؟! وسوف نستعرض مسألة القدوة عن طريق مناقشة بعض النقاط أولها:

### ○ كُن حتى يكون:

«عندما بلغ ابني الخمس سنوات ذهبنا للتسوق وكانت ساحة انتظار السيارات مكتظة جداً، فطفنا بسيارتنا لبعض الوقت باحثين عن مكان لنوقف فيه سيارتنا، ومن صفاتي أنني صبور في مثل هذه المواقف، وفي النهاية لاحظت سيارة تخرج من مكانها فقممت بتشغيل إشارتي للدخول في هذا المكان الذي سيفرغ، وإذا بسيارة تتسلل وتحتل هذا المكان وتملكني الغضب الشديد، ففتحت شبك سيارتي وصرخت بألفاظ نابية في وجه السائق، وتبادلنا نظرات تنم عن غضب، ثم واصلت بحثي عن مكان آخر لأوقف فيه سيارتي. وبعد حوالي عشرين دقيقة، كنا داخل المركز التجاري وقد ذهب غضبي وكنا نناقش بعضنا البعض، وفجأة نظر إليّ ابني متسائلاً: بالمناسبة يا أبي، ماذا تعني الكلمات التي تلفظت بها في الخارج؟»

وحينها انتابني شعور وكأنني ضُربت على رأسي بحجر،  
ويالها من صدمة غير متوقعة . . تملكني الارتباك الشديد وبدأت  
أوضح له أن هذه الألفاظ ليست بالألفاظ الجيدة»<sup>(١)</sup>.

فهذه قصة نخرج من بين ثناياها أن تصرفاتنا مع أبنائنا  
موضوعة عندهم تحت المجهر، ولكن هذا الطفل تكلم وصارح  
أباه، فكم من المرات نكشف أمام أبنائنا بأخطائنا وتساهلنا  
وتفريطنا وهم لا يتكلمون؟! فإما أن يأخذوا هذه التصرفات على  
أنها صحيحة لأن أبي يفعلها وإما يعرف بخطأ هذا التصرف ويبدأ  
في تكوين صورة ذهنية مشوهة عن الوالد ويرفض الأخذ منه لأن  
تصرفاته تناقض أقواله .

فكم من ملتزم ينصح ابنه بالزهد في الدنيا وهو يركض فيها  
ركض الوحوش في البرية؟!!

وكم ملتزم ينصح ابنه بالحفاظ على الصلاة في المسجد وهو  
يضيعها بغير عذر؟!!

وكم من ملتزمة تنصح أبناءها بعدم الكذب وهي ما كفت  
لسانها عنه؟!!

---

(١) «كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك»، سال سيفير ص ٢٣ باختصار وتصرف.

أما سمعنا قول ربنا: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].  
 وقوله أيضًا: ﴿﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَتَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

«إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيمًا، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم يرَ المرابي ذروة الأخلاق وقمة القيم والمثل العليا، ومن السهل على المرابي أن يلحق الولد منهجًا من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه»<sup>(١)</sup>.

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى

كيما يصح به وأنت سقيم

ابداً بنفسك فانها عن غيرها

فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان (٢/٤٦٥).

## فهناك يُقبل ما وعظت ويقتدي

بالعلم منك وينفع التعليم

«لا بدَّ وأن تراعي الدقة في سلوكك؛ فالأطفال يكتسبون سلوكهم مما يدور حولهم عندما يعيشون مع آباء ملتزمين، فهم يصبحون أطفالاً ملتزمين وسوف يكونون آباء ملتزمين، أمام أحفادك، فأنت ملتزم بأن تكون القدوة الحسنة، فدائمًا ما يكرر الأبناء ما تقوم به من أفعال»<sup>(١)</sup>.

### ○ ثانيًا: إصلاح الولد الأكبر:

وإلى هنا وصلنا إلى الإشارة الثانية على طريق الاقتداء ألا وهي الولد الأكبر، فالولد الأكبر كالعربة الأولى في القطار إن إعوج، إعوج من بعده.

«وينبغي ألا يغرب عن بال الوالدين أن التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد؛ لأن الولد الأصغر يحاكي عادة ما يفعله الأكبر، بل ينظر إليه أنه المثل الأعلى في كل شيء، ويقتبس الكثير والكثير من صفاته الخلقية وعاداته الاجتماعية، وهنا تكون الطامة أكبر إذا وجد الولد من

---

(١) «كيف تكون قدوة حسنة لأبنائك»، سال سيفير ص ٢٦.

يكبره نشأ في تميم وانحلال، وإذا رأى من وُلِدَ قبله يتقلب في متاهات الرذيلة والفساد، فلا شك أن الأولاد به يتأثرون، وعلى طريقه يمشون، وعنه يأخذون.

فلهذا كله وجب على الأبوين أن يركزوا جهودهم على الولد الأكبر ثم من يليه، ليكونوا من بعدهم قدوة، وللباقين من الأولاد أسوة، والله يتولى الصالحين<sup>(١)</sup>.

فمن اللازم أن يأخذ الوالدين في الاعتبار هذه الإشارة، ويهتمون بتربية الولد الأول اهتماماً بالغاً؛ فإنه إن صلح صلحت بعده باقي الذرية، وإن فسد فلا حول ولا قوة إلا بالله، مع التحفظ أن لكل قاعدة شواذ.

### ○ ثالثاً: المربي القدوة:

والإشارة الثالثة على طريق القدوة هي «المربي القدوة»، نعم، إنه مربي المسجد، فكثير من أبناء الملتزمين يذهب إلى المسجد لحفظ القرآن وحضور الحلقات فيظهر دور المربي المكمل للأبوين، ولكن قبل أن نسلم أبناءنا إلى المربي يجب أن يتوافر فيه صفات يتحلى بها وسنركز على سرد الصفات المتعلقة بالقدوة والقابلة لاستقائها من ناحية الأبناء.

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٤٧٦.

## ١- الجدية وعلو الهمة:

فمن مقومات القدوة الحسنة علو الهمة، لذا فيجب على المربي أن يكون ذا عزيمة متوقدة وهمة لا تفتري كي يستقيها المتربي منه دسمة، فيكون من بعده نشيطاً ساعياً بكل جدٍ، وإلا ما الفائدة إذا رأى شيخه ومربيه يتفنن في تضييع الأوقات، ويبحث عن الكسل؟! فقل على الدنيا السلام، فيجب على المتربي أن يرى مربيه أنه لا يرضى بالدينية ولأن يكون على هامش الحياة بل لا بد أن يكون في صلبها، قائداً وليس مقوداً.

## ٢- حسن الخلق والدمائة:

«المشتغل بالتربية إن لم يكن له نصيبٌ طيبٌ من الخلق الحسن، فلا حظ له في قلوب المتربين ولا مكان له بين المرابين الناجحين، فالخلق الحسن من أقوى أساليب التربية المؤثرة، وحسن الخلق زينة المربي، وهو أكثر ما يربي به وأولى ما يربي عليه تلامذته، فإن لم يكن للمربي من حسن الخلق حظ وافر، فعلام يربيهم إذا؟! ففاقد الشيء لا يعطيه، والمتصنع لحسن الخلق المتكلف به على غير الحقيقة تكشفه طول العشرة وقرب المعاشرة، وما أسرَّ أحد سريرة إلا أظهرها الله على قسماات وجهه وفتلات

لسانه»<sup>(١)</sup>. فالتحلي بالأخلاق الحميدة صفة أساسية يجب توافرها عند المرابي خاصة أمهات الأخلاق كالحلم والصدق والوفاء بالوعود والانضباط في الأوقات إلى غير ذلك.

### ٣- السمّت والهدى الحسن:

«السمّت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربع وعشرين جزء من النبوة»<sup>(٢)</sup>، ففي هذا الحديث تأكيد على أن السمّت الحسن من أخلاق النبوة التي كانت بمثابة تأهيل وتربية للأفراد؛ فمن باب أولى أن يتحلّى بها الداعية والمرابي «فالمرابي قدوة بأعماله وسلوكه قبل أن يكون موجهاً للناس بقوله، والفعل يترك أثراً على النفس أعظم من أثر القول. فقد قال محمد بن سيرين: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»<sup>(٣)</sup> فما أحوج المرابين اليوم إلى تحقيق السمّت الحسن والهدى الصالح في نفوسهم» ومن اللطائف التربوية أن الإمام مالك بن أنس قال: «كانت أمة تعلمني وتقول لي:

---

(١) «منهاج المرابي»، محمد عادل ص ١٥٤.

(٢) الترمذي (٢٠١٠). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته»

(١/٦٨٧): حسن.

(٣) مقالات في التربية، د. محمد الدويش.

أذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»<sup>(١)</sup>.

#### ٤- الانضباط الشرعي:

أوصى أحد السلف معلم ولده قائلاً: «لتكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبیح عندهم ما تركت»، لقد بين الوالد لذلك المعلم أثر القدوة على الولد، فكما قال الإمام ابن تيمية للإمام ابن القيم عندما نصحه في ترك بعض المباحات مبيناً له منافاته مع المراتب العالية، فكما قلنا أن المترين يضعون تصرفات المربي تحت المجهر، فيجب على المربي أن ينضبط في إتباع الشرع فلا يأخذ برخص المذاهب ولا زلات العلماء، وأن يترفع عن بعض المباحات من أجل أن المربي يراه في موضع خاص في نظره دوناً عن الناس، لذا قال ابن القيم: «إن من صعد إلى درجة الورع يترك كثيراً مما لا بأس به من المباح، اتقاء على صيانه وخوفاً عليها أن يتكدر صفوه، ويطفأ نوره» فيجب أن يكون المربي ممن قال فيهم الله: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَذِبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضي عياض (١/١٣٠).

إن رحلة تربية الأبناء تبدأ حين نقرر أن نربي أنفسنا وأن نصبح  
قدوات لأبنائنا، لا سيما أن أول بيئة اجتماعية يقابلها الطفل  
وتتشكل شخصيته وعقليته من خلالها هي بيئة الأسرة، فإن لم تكن  
على المستوى المرجو ليقتردي بها الابن فإن الخسارة ستكون  
فادحة.



## البيئةُ المحيطةُ

أخي المرابي، لست وحدك من يربي، نعم، ابنك ليس سلمًا لك وإنما معك شركاء متشاكسون، فمن الأقارب والجيران إلى المدرسة والشارع، بل وقل التلفاز والإنترنت والألعاب، كل هذا له من التأثير في التربية نصيب لا سيما وقد أصبح العالم كالغرفة الواحدة وتطورت التكنولوجيا بشكل مرعب.

وبالنظر إلى البيئات المحيطة حولنا، نجدها لا تصلح لإعانة الآباء على التربية وترسيخ قواعد التربية الإسلامية عند الأبناء، نعم .. الكل يدفع عكسك!! وللأسف كثير من الآباء إما أن يعزل أبنائه عن الناس والأقارب والشارع، وإما أن ينزع يده ويقف موقف المتفرج على ولده وهو يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة .. فما الحل؟!!

○ ما الحل؟!!

الحل أشار إليه الأستاذ محمد قطب في كتابه منهج التربية

الإسلامية فقال: «إن تربية طفلٍ واحدٍ مسلمٍ - كتربية ألف طفلٍ كتربية جميع الأطفال- تحتاج إلى البيت المسلم والشارع المسلم والمدرسة المسلمة والمجتمع المسلم»، ولكن الحل غير متوافر الآن؛ فنحن الآن نعيش تناقضًا هائلًا بين المؤسسات التربوية وبين المربي، «الأصل أن يتربى الإنسان تربية متكاملة، وأن تكون المؤسسات التربوية تؤدي دورًا متكاملًا؛ فالمدرسة والشارع والرفقة كلهم يسيرون في اتجاه غير متناقض، وهذا يفرض على المربي تحديًا أكبر وجهدًا أعظم وسيبقى الجهد مهما بذلنا من الوسائل جهدًا محفوفًا بالمخاطر»<sup>(١)</sup>، فلو أن ألف رجل يبنيون بناءً ووراءهم هادم واحد ما كان لهذا البناء أن تقوم له قائمة، فما بالك بالذي يبني وحده ووراءه ألف هادم؟! ولكي لا نقف منزوعي الأيدي أمام الواقع الذي يفرض علينا نفسه يجب وضع حل لهذه المشكلة، وستكلم عنه وسنطرحه في ثلاث محاور:

١- الحماية الداخلية «التربية الإيمانية».

٢- الرقابة.

٣- استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى.

---

(١) البيئة السيئة والشباب، محمد الدويش، موقع المربي.

## الأول

### الحماية الداخلية

لا بدّ من تقوية المناعة الداخلية وبناء حائط صد للهجمات الشرسة من شبهات وشهوات تحدق بأبنائنا من جميع الجهات عن طريق غرس معاني العقيدة وتقوية الجانب الإيماني لدى الأبناء، حيث إننا في ظل العولمة التي نحيهاها، وتقدم وسائل التكنولوجيا التي جعلت من المراقبة الكاملة أمراً شبه مستحيل، لا ضامن لاستقامة سلوك الإنسان المسلم إلا الاهتمام بالتربية العقدية والإيمانية التي تضبط سلوكه وتفكيره وتنمي حس المراقبة الذاتية. ومن الوسائل التي تعين على تقوية الحماية الداخلية<sup>(١)</sup>:

١- يجب أن تكون مبكرة كما ذكرنا في أول البحث، ويجب أن تكون مستمرة خلال المعاشة وبطريقة لطيفة لا تعتمد على إلقاء المواضيع فقط.

٢- زرع العقيدة في قلب الولد وتثبيتها جيداً عن طريق استشعار عظمة الله في قلبه من خلال التفكير في أسماء الله، ولو أدركت نفوسنا عظمة الله لعظم الافتقار إليه ولزادت الخشية منه،

---

(١) التربية في ظل المتغيرات، عمر الدويش، موقع المرابي باختصار وتصرف.

أيضاً زرع أحاديث النبي كحديث «اتق الله حيثما كنت . .»<sup>(١)</sup>،  
وأيضاً قصص الصحابة والدروس المستفادة منها كقصة كعب بن  
مالك .

٣- الاعتناء بالافتتاح: فالتوجيهات التربوية التي يتلقاها  
المتربون في مجتمعاتنا تعتمد على التوجيه المباشر وتعتمد على  
تلقين النتائج والأحكام، وهذا لو نجح مع جيل لا يتعامل إلا مع  
من يريه فإنه لن ينجح مع جيل لا يعد المربي فيه على أحسن  
أحواله إلا واحداً من العوامل المؤثرة على المربي، وهذا يتطلب  
مراجعة شاملة لمحتوى المواد التربوية ولأساليب تقديمها .

٤- تعريفه بواقع الإسلام وغربة أهله في وسط واقعنا  
المعاصر، فالمجتمع ينظر إلى الملتزم نظرة اتهام ورجعية؛ فتجد  
الابن -إلا من رحم الله- يحاول أن يتبرأ من تفكير أبيه، فقد رأيت  
من أبناء الملتزمين من ينفي التزام والده، ومنهم من يتهرب من  
السؤال . . !!، فلا بد أن يتعلم الأبناء الاستعلاء بالإيمان، وأن  
هذا الاستضعاف لا يدوم كائناً ما كان، وإعلامه بوعده الله في  
القرآن أن التمكين لعباد الله الصالحين، أيضاً إعلامه بحديث

---

(١) الترمذي (١٩٨٧)، ومسند أحمد (٢١٣٥٤). وقال الألباني في «صحيح  
الجامع الصغير وزيادته» (٨١/١): حسن.

النبي ﷺ: «لا يكون أحدكم إمعة . .»<sup>(١)</sup> فهذا ينشئ عنده استقلالية ويجعله قائدًا لا مقودًا .

هذا ما كان في إيجاز توضيحًا عمليًا للتربية الإيمانية التي مثلناها بالحماية الداخلية للأبناء، فالعقيدة هي الحل وإلا «كم سيكون من الصعب حمل ظمآن شديد الظمأ على عدم الشرب من ماء بارد أمامه! وكم ينبغي أن يكون ما سنعرضه عليه كبيرًا حتى يستجيب إلينا»<sup>(٢)</sup> إذا لا مفر من ربط القلب والعقل بالاعتقاد، فما أسهل المعاصي في هذا الزمن!!

---

(١) الطبراني (٨٧٦٥).

(٢) «القواعد العشر»، عبد الكريم بكار ص ٢٢.

## الثاني

### الرقابة

وهذه الوقفة الثانية في العلاج، وهي تحتاج مجهودًا كبيرًا من الآباء تجاه الأبناء في التوجيه والمتابعة والمراقبة؛ خصوصًا في عصرنا هذا الذي يموج بالفتن والمغريات وسهولة ارتكاب المعاصي وما يصاحبه أيضًا من اقتلاع للثواب وإحلال للقيم.

فكما قلنا من قبل أنك لست وحدك من يربي ولدك، فمعك من الشركاء الكثير ودعنا نبدأ بأول شريك ألا وهي:

#### التقنية:

نعيش اليوم في سباق مع الزمن فما أن يظهر اختراع حتى يظهر في ذيله اختراعًا آخر، والتقنية أصبحت سلاحًا ذا حدين، وفي مجتمعاتنا الشر له أوفى النصيب، فبضغطة زر واحدة يجد الطفل نفسه في قلب العالم!! «فوسائل الاتصال بأدواتها الجبارة، كل ذلك ألغى الحدود بين ما كنا نسميه داخل البلاد وخارجها..

العولمة تعولم الأشياء وتعولم الأفكار والتطلعات والأذواق والمعايير، وتعولم -أيضًا- المشكلات، وأنماط الانحطاط، كنا في الماضي نربي في بيئات مغلقة نسبيًا، لكننا اليوم نربي وأبواب

بيوتنا ونوافذها مشرعة على العالم من أقصاه إلى أقصاه، ولهذا بالطبع حسناته وسيئاته، ولكن إذا لم ننتبه، ونفهم ما يجري على نحو جيد، فقط تطغى السيئات على الحسنات»<sup>(١)</sup>.

فمن هذا المنطلق وجب على الوالدين تعلم ما هو جديد من أمور التقنية، وأعلم أن هذا أمر صعب ولكن انحراف الأبناء أمراً أكثر صعوبة.

### الكمبيوتر والإنترنت:

- التأكد من وضع الجهاز في مكان سهل مراقبته.
- محو الأمية التكنولوجية بتعلم استخدام الكمبيوتر والانترنت؛ وذلك لكي تسهل مراقبة الأبناء ولسد مدخل الشيطان بجهل الوالدين.
- العلم بمحتوى المادة الموجودة سواء كانت في أفلام الكارتون أو في الألعاب أو في المواقع، ومساعدة الأبناء في توفير الألعاب والمواقع التي تناسب احتياجاتهم.
- عدم التساهل في انشغال الأبناء بالكمبيوتر لفترة طويلة، ووضع حد أقصى للجلوس أمامه.

---

(١) المصدر السابق ص ١٧.

## الهاتف المحمول:

- عدم شراء هاتف للصغار غير المسؤولين إلا للضرورة،  
وحبذا يكون غير مزود بتقنية عالية إذا اضطررنا لشراؤه.

- مراجعة الأسماء والرسائل والسؤال عن أي رقم مسجل  
برمز مبهم، ومراعاة عدم غلق المحمول بكلمة سر.

ولكم أفسد أب قلب ابنه الطاهر بسبب شراء الهاتف دون أي  
مراقبة له، ولكم سمعت عن علاقات عاطفية بين أبناء وبنات تقشعر  
لها الأبدان، وكم علمت عن أبناء في المرحلة الابتدائية والإعدادية  
مدمنين للأفلام الجنسية، كل هذا بسبب التساهل وعدم الرقابة  
تحت شعار الثقة، مع مراعاة تفتيش هذه الأجهزة من وراء الابن  
لكي لا نفقده الثقة فلا ننسى أن هدفنا التربية وليس التعرية.

## الأصدقاء:

بلا شك أن لأصدقاء الأبناء نصيب في التأثير على الأبناء من  
حيث قراراتهم، طباعهم، ألفاظهم وذلك في جميع مراحل عمره،  
وتظهر هذه التأثيرات بشدة من سن ١١ إلى ١٣ وهي بداية علامات  
المراهقة ومحاولة الاستقلال، ينتهي هذا التأثير عند بلوغ العشرين  
عندما تتجه اختيارات الابن لمحركات الحياة الأساسية وتنقلب

الكفة مرة أخرى لصالح الوالدين والأسرة في اتخاذ القرارات والرجوع إليهم .

ولكي نعبر هذه القنطرة المليئة بالكلايب والخطاطيف التي تحوم حول أبنائنا وإنقاذهم منها يجب أن نضع إشارات للرقابة في هذه النقطة :

- يجب تقوية العلاقة بين الأسرة وبين الابن ، فالعلاقة القوية بين الطفل وأفراد أسرته يمكنها الحد من التأثير السلبي .

- معرفة أصدقائهم ومحاولة التكلم معهم وعدم التسرع بالحكم عليهم ظاهرياً .

- التحذير من السلوكيات المرفوضة بشكل إقناعي فقد أثبتت الدراسات أن الأطفال الذين تحدث معهم المعلمون أو الآباء حول التدخين وأضراره بشكل متكرر من سن التاسعة كان موقفهم من التدخين أكثر رفضاً وكانوا أكثر مقاومة لأصدقاء السوء .

- كن أنت النبع الذي يستقي منه المعلومات وبالأخص المعلومات الجنسية والمتعلقة بالبلوغ ولا تخجل من ذلك .

- العمل على عقد تجمعات للأصدقاء في البيت إن أمكن ؛ فهذا يثري التعارف بين الأب وأصدقاء الابن ويقلل من جنوح الأولاد للخطر .

- إياك أن تشعر الولد أنك متسلط؛ فالآباء المتسلطون الذين يحاولون التحكم بكل حركة يقوم بها الأبناء، عادة ما يرغب أبناءهم في التمرد.

- إشغاله بأعمال منزلية أو لعبة رياضية، وتوفير جو ممتع يغني عن التسكع في الطرقات.

### الأقارب:

وفي هذا العنصر يمكن أن نشير إلى أن الأقارب من خال أو عم أو جد أو جدة أو ما شابه ذلك من القرابات لهم تأثير في سلوكيات وقناعات الطفل؛ فعندما يزور الابن الخال أو العم في بعض الأحيان يكون وضع الزيارة غير محكوم بالضوابط الشرعية مما يجعله يتأثر بهذا الوضع، وأيضاً عندما يبيت عند الأقارب أو الجدات خاصة ويقلب في التلفاز كيفما يشاء دون رقابة أو متابعة، فهذا باب للشيطان في استغلال هذه المواقف لتأجيج نار التمرد عند الابن!!

فيجب على الوالدين إحكام الزيارات والمبيت عند الأقارب حتى وإن وصل الأمر إلى عدم اصطحاب الأبناء إذا أحسنا بخطر أو اكتساب لعادات سيئة.

## الثَّالِثُ

### استبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى

إنه استبدال بيئة المسجد ومربي المسجد وتأثيره بالذي هو أدنى من تأثير وسائل الإعلام والأصدقاء . . إلخ، تلك البيئة النظيفة الطاهرة التي هي بمثابة الحماية والبديل عن التأثيرات الخارجية، والتي يجد فيها الابن القدوة عن طريق المربي الذي يزرع فيه الخير ويكون له كحادي الطريق ويجد الرفقة الصالحة والمنهج القويم الذي يستطيع أن يقاوم بكل هذه الأسلحة تيار الفساد.

ولكن ثمة أشياء في بيئة المسجد صارت عوائق أمام أبناء الملتزمين في الحقوق بتلك البيئة منها:

أ- التقليدية:

فالأمر في بداية الصحوة كان ينحصر على دراسة العلم الشرعي والتعلق في الجلسات و فقط، وهذا من المؤكد أنه أتى بثماره الياقة ولكن صلح هذا الأسلوب مع باكورة الصحوة، أما في هذا الوقت الذي اشتدت فيه ريح الفتن والهجوم على الإسلام

وانفتح العالم على بعضه هل نعتقد أن هذا الوضع التقليدي سيظل  
يشمر؟!!

فلا بدّ إذاً من تغيير أدوات وأساليب العمل التربوي بشكل  
يستوعب الواقع الذي تغير بشكل يرغب أبناء الإسلام في تعلم  
دينهم والبذل له .

«أعتقد أن ما يُنتظر من العمل الإسلامي من حيث العمل  
التربوي أوسع بكثير جدًّا من هذه البدائل المحدودة جدًّا، فعلى  
نطاق العمل الإسلامي ينبغي أن تفتح أدوات العمل التربوي  
وتتجاوز الأطر المحدودة، وتستوعب الواقع الذي تغير، وبخاصة  
أن الأدوات التي تنشأ في ظل عصر له خصوصية وله طبيعة لا يمكن  
أن تستمر كثوابت»<sup>(١)</sup> .

فهذه مهمة الدعاة والمربين في المساجد أن يبتكروا وأن  
يدركوا التطور والانفتاح الذي نعيش فيه الآن، مع مراعاة ضبط  
الأمر بالشرع فلا يتم ابتكار طريقة لجذب الشباب مخالفة للشرع  
ولتذكر قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ  
وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيءٌ فِي نَارِ  
جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] .

(١) موقع المري، حوار الشيخ محمد الدويش مع موقع المسلم.

## ب- إهمال التربية الفردية «الدعوة الفردية»:

من العيوب المطروحة الآن في آليات العمل في الصحوة هي إهمال التربية الفردية، فقد يعتمد البعض على سماع بعض النصائح في حلقة في المسجد أو حفظ بعض السور ولكن مع أهمية هذا كله يتم إهمال أكبر عنصر ألا وهو التربية الفردية؛ تلك المهمة التي يقوم بها مربي المسجد مع من يتولاهم وتنحصر مهامه في<sup>(١)</sup>:

١- القرب من المتربي بروح المودة والإخاء والإحاطة بأموره أولاً بأول.

٢- الاجتهاد في بنائه والارتقاء به .

٣- توجيهه وإعانتته في حل مشكلاته الخاصة والدعوية .

٤- تقويمه من فترة لأخرى ومراقبة تطوره وتأثره وفقاً لما يبذل معه، مع مراجعة مدى تحقيق الجوانب الدالة على انتظام السير وسلامة البناء .

٥- محاسبته ومناقشته للوقوف على مدى قيامه بما يتطلب منه أو يوجه إليه مع مجازاته تبعاً لنشاطه أو تقصيره» .

---

(١) «دور المربي في الدعوة الفردية»، الشيخ هشام عقدة ص ٥ بتصرف يسير.

فالتربية أصل ضخمة وأساس متين لا يتم بدونه تغيير، ولا تنجح بدونه دعوة، مع مراعاة عدم الانتقاص من الخطاب الجماعي أو الدروس العامة؛ فهي أيضًا من آليات الدعوة المهمة. ما نعينه أن هناك فرق بين التربية والتعليم.

«التعليم دروس ومحاضرات، أما التربية فلا بدَّ لها من أهداف، وهذه الأهداف لا بدَّ أن تكون مرتبطة بالمنهج، فعملية التربية عملية مقصودة، يعني أنك تريد أن تصل من خلالها إلى شيء . . فعلى سبيل المثال كفرق بين المحاضر أو المدرس والمربي، أن المحاضر يهمله أن تكون محاضراته قوية، وبعد أن يلقيها ليس من شأنه معرفة أثرها على فلان وفلان ومدى استجابته، وما يحتاجه بعد ذلك بخلاف المربي، هو معني بالأفراد المستمعين بأعيانهم، كيف تأثر فلان، ولم لم يستجب فلان، وما المناسب فعله معه بعد ذلك؟»<sup>(١)</sup>.



---

(١) «رسالة إلى إمام المسجد»، الشيخ هشام عقدة ص ١٥٢.

## ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

○ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿١١﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿[الأعلى: ١٦، ١٧]:

قال السعدي: «تقدمونها على الآخرة وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة، والآخرة خير وأبقى من الدنيا في كل وصف مطلوب وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد»<sup>(١)</sup>.

فلأسف ظهرت اليوم ظاهرة الوهن بين صفوف الملتزمين، ورأينا مظاهر حب الدنيا تندس إلى أسلوب حياتنا، حتى ظهر هذا الإيثار الزائل على تربية الأبناء؛ فرأينا من يخاف على ابنه من الاستقامة على شرع الله خشية الأذى المادي أو المعنوي، وآخر يؤثر شهادة فانية أو وظيفة يحتفظ بها لولده ويضحى بما هو نفيس، وهما هي أخرى لا توظف ابنها لصلاة الفجر من أجل أن يذكر، وهذا

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص ٩٢١.

يشارك لأولاده في نادي به ما به من الفساد بحجة عدم حرمانهم وعدم البخل عليهم، فللأسف صارت قضية الدين عند بعض الملتزمين على الهامش، وسيطر حب الدنيا على القلوب حتى علاها .

○ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]:

فقد أوضحت لنا الآية أن الله لم يخلق هذا الخلق هملاً ولم يتركهم سدئاً، بل خلقهم لأمر عظيم وهو عبادته سبحانه وحمل أمانة التوحيد وتبليغها التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان وكان ظلوماً جهولاً إذا ضيعها .

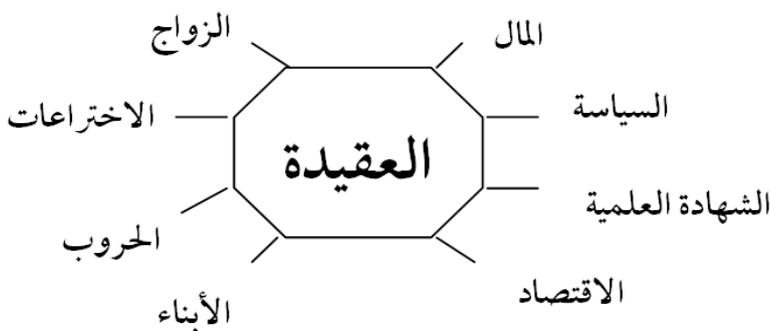
**أما والله لو علم الأنام**

**لما خلقوا لما هجعوا وناموا**

ولكن قد يتبادر إلى الذهن أننا بذلك ندعوا إلى العكوف في المساجد وترك الدنيا والتفرغ للعبادة ليس إلا ، وهو مفهوم خاطئ وقاصر؛ فقد أمرنا الله بإعمار الأرض واستخلف بني آدم فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكذلك أوصانا رسول الله: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها» .

إدًا فالإسلام يدعو إلى تعمير الأرض وامتلاك أسباب القوة في هذه الدنيا، ولكن ضبطها بضابط فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، أي أن امتلاك أسباب القوة ومقومات الحضارة هو عبارة شرطية أن تكون ابتغاء مرضاة الله، ومن باب أولى أن تكون كلمة الله هي العليا في منهجية التربية للأبناء، فليس هناك طريق يسمى بالآخرة وطريق يسمى بالدنيا فكلاهما طريق واحد، ولكن حين نخفق في فهم قضية الاستخلاف في الأرض فإننا نحتذي حذو بني إسرائيل الذين فشلوا في اختبارات الدنيا إلا من رحم الله منهم.

إدًا فقضية الإنسان المسلم في الحياة هي العقيدة، وغاية خلقه هي العبادة، ومقومات الدنيا ما هي إلا عوامل مساعدة تخدم قضية التوحيد؛ فلا أهلاً ولا سهلاً بمن ينحي العقيدة بلسان حاله عن



○ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ءَأَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَعُ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿التوبة: ٣٨﴾:

فهذا عتاب من الله إلى الذين كلما طلبهم دينهم لكي يضحوا  
من أجله رضوا بالحياة الدنيا وتكاسلوا ومالوا إلى الدعة  
والسكون، «فما متاع الحياة الدنيا التي مالت بكم وقدمتموها  
على الآخرة إلا قليل، أفليس قد جعل الله لكم عقولاً تنزون بها  
الأمر، وأيها أحق بالإيثار؟! أفليست الدنيا من أولها إلى آخرها  
لا نسبة لها في الآخرة . . فوالله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر  
الإيمان في قلبه ولا من جزل رأيه ولا من عُدَّ من أولي  
الألباب»<sup>(١)</sup>.

لا شك أن حب الأولاد من الأشياء التي فطر الله الناس  
عليها، وقد قال: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ  
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ  
وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ﴾  
[آل عمران: ١٤].

(١) المصدر السابق ص ٣٣٧ باختصار.

ولكن الناس قسمان؛ قسم جعل الدنيا هي المقصد والهدف فانشغلت خواطرهم وجوارحهم بها، وقسم عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها امتحاناً لعباده وعرفوا أنها وسيلة وليست هدفاً .

فحينما يتم تقديم الدنيا في تربية الأبناء على الآخرة بأي شكل من الأشكال فللأسف نقدم حرث الدنيا على حرث الآخرة، ونؤثر الصفيح الفاني على الذهب الباقي، ونحالف قانون السلم القيمي وهو «حين تتزاحم قيمتان وهذا يحل في كل يوم مرات عديدة، فإنه تتم التضحية بالقيمة الأقل شأنًا من أجل الحفاظ على القيمة الأعظم شأنًا، إن نجاح الأبناء قيمة، وهو أحيانًا يتطلب السهر من أجل النجاح إلى ما بعد منتصف الليل كما هو الحال في ليالي الاختبارات وصلاة الفجر في موعدها قيمة أعظم، ولهذا فإن أي سهر من أجل النجاح ينبغي أن يتم في إطار التمكن من أداء صلاة الفجر في وقتها . . السفر لطلب العلم قيمة عظيمة ولكن الاستقامة على أمر الله قيمة أعظم؛ فإذا غلب الظن أن سفر أحد الأولاد للدراسة سيؤثر في تدينه فإننا نتوقف عن إرساله وهكذا . .»<sup>(١)</sup> .

---

(١) «القواعد العشر»، أ. عبد الكريم بكار ص ٢١.

وللنبي حديث حذّر فيه من مغبة التخاذل بالأولاد في سبيل  
الله فقال: «ما تعدون فيكم الرقوب؟» قلنا: الذي لا ولد له، قال:  
«لا ولكن الرقوب الذي يقدم من ولده شيئًا» أي في سبيل الله.  
رواه مسلم

فانظر كيف عدّ النبي عليه الصلاة والسلام الذي لم يخرج من  
أولاده أحدًا في سبيل الله كالذي لم يرزق بذرية من الأصل!

### ○ الخنساء أرادت حرث الآخرة:

في يوم نادى المنادي أن هبي جيوش الإسلام للدفاع عن  
الدين والعقيدة ونشر الإسلام في موقعة القادسية، فجمعت أولادها  
الأربعة وقالت لهم: «يا بني إنكم أسلمتم وهاجرتم مختارين والله  
الذي لا إله غيره إنكم لبنو رجل واحد كما أنكم بنو امرأة واحدة،  
ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم ولا غيرت  
نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في  
حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية،  
يقول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا  
اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فإذا أصبحتم غدًا إن شاء  
الله سالمين، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وباللهم على أعدائه  
مستنصرين، وإذا رأيت الحرب قد شممت عن ساقها واضطربت

لظي على سياقتها وحللت نارًا على أوراقها فتيّموا وطيسها  
 وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في  
 داخل الخلد والمقامة». فلما وصل إليها نبأ استشهادهم جميعًا  
 قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني  
 بهم في مستقر رحمته.

هكذا كانت النساء اللاتي أرادت حرث الآخرة، وتغلبت على  
 شهواتها وحب الدنيا من أجل الله، علموا أن الحياة الدنيا لعب  
 ولهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد، وعلموا أن الله عنده  
 حسن المآب، شتان بينها وبين من تمنع ابنها من صلاة الفجر في  
 المسجد لخوفها عليه، أو بمن كان فرحها بالشهادة العلمية أكبر  
 بكثير من فرحها باستقامة ولدها!!

○ ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ<sup>ط</sup> وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ  
 مَا لَا يَرْجُونَ<sup>ظ</sup> وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]:

فذكر الله أمرين: «الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب  
 والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة  
 الإنسانية والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم وأنتم وإياهم  
 قد تساويتم فيما يوجب ذلك؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من  
 توالى عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يدال  
 مرة ويدال عليه أخرى».

الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه بل خواص المؤمنين لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين وقمع أعداء الدين فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق زيادة القوة وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الديني - إن ناله - ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية والفوز برضوان الله وجنته»<sup>(١)</sup>.

لم تنصر دعوة من الدعوات حتى وإن قامت على باطل إلا على الدماء والبذل والجهد، ولكن أعجب كل العجب في جلد أهل الباطل في نشر باطلهم وتضحياتهم الكبيرة لمبادئهم، وعجز من معه الحق فصدق عمر حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة»، الأمر يكمن في أن الإنسان الملتزم صاحب رسالة وصاحب عقيدة لا يليق به أبدًا أن يركن إلى الدنيا ويطمئن إليها حتى في تربيته لأولاده، يجب أن يؤصل عندهم هذا المعنى. ويجب أن يكون الله عنده أولاً وعقيدته فوق كل شيء وحمل هم دينه في سويداء قلبه لا يفارق ذهنه، لا يكتفي بالحوقة ولا بالاسترجاع إذا أصاب الدعوة ما أصابها.

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» ص ١٩٩.

○ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[الأنفال: ٦٧]:

فهذه وصية لكل ملتزم بأن يتقي الله في ولده، فكم من شاب اشتكى حرمانه من لذة الاعتكاف في المسجد، وآخر يشتكى حرمانه من صلاة الفجر بحجة خوف الأهل عليهم، فلو خافوا عليهم حقاً لحرصوا على هداية أولادهم ولقدموا حرث الآخرة على حرث الدنيا، ولنضع حديث رسول الله نصب أعيننا: «من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»<sup>(١)</sup>.

○ حين أدرك غير المسلمين الحقيقة:

أوضح جان جاك روسو في كتابه «تربية الطفل من المهد إلى الرشد» فقال: «إن المرء ينبغي أن يصون طفله، وهذا لا يكفي، بل ينبغي أن نعلمه كيف يصون نفسه حين يضحي رجلاً، وكيف يحتمل ضربات القدر وكيف يواجه البؤس والنعيم، وكيف يعيش إن

---

(١) الترمذي (٢٤٦٥). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٢/١١١٠): صحيح.

اقتضى الأمر في الزمهير والقيظ . . فما من الموت مفر إن واجبك  
أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت ، والحياة ليست نفساً  
يتردد بل هي نشاط واستخدام للجوارح والوظائف الحيوية من سائر  
عناصر كياننا ، وليس أعظم الناس نصيباً من الحياة من سلخ فيها  
سنوات أطول ، بل من مارسها أكثر من سواه» .



## أَبْنَاءُ الدُّعَاةِ وَالْقِيَادَاتِ

أبناء الدعاة والقيادات عليهم من البلاء ضعف ما على أبناء الملتزمين العاديين، فهو ابن العالم الفلاني والقيادة الفلانية، تصرفاته كلها مراقبة وتحركاته كلها تحت المجهر، لا يمر خطأ إلا ويعير بأباه ومنصبه وعلمه ومكانته.

تلك الفئة فئة مظلومة من بيئتها المحيطة، استقامتهم يفسدها من حولهم بالكلمات السخيفة والمضايقات الكلامية وعدم معاملتهم بشكل منفصل عن الصورة الذهنية لأبيهم، حتى أن البعض منهم يحاول إخفاء هويته لك كي تعامله دون أي تكلف أو مراقبة أو تحسس!

○ انحراف تلك الفئة عن طريق الاستقامة تكون لعدة أسباب:  
الضغط النفسي من البيئة المحيطة:

ابن القيادة عادة تصرفاته وتحركاته ليست كالشخص العادي أو حتى شخص ولد لأسرة ملتزمة، فهو يتحمل أضعاف ما يتحمله

غيره من المعايير والمراقبة بسبب مكانة وعلم والده، وذلك الضغط النفسي يولد لديه أزمة أن شخصية والده مفروضة عليه ولا خيار عنده إلا أن يكون نسخة كربونية لأبيه، فيضطر للتمييز فيختار الطريق العكسي ليثبت ذاته وشخصه لمن حوله وفي الغالب يحيد عن طريق الاستقامة ليفتك من منصب أبيه المكبل له ولأفعاله.

وللأسف يكون الضغط النفسي الذي يتعرض له الولد يشغل ذهنه وتفكيره بالتعامل مع ذلك الضغط وإيجاد مخرج لإثبات شخصيته خاصة في مرحلة المراهقة لأنه في هذه السن يميل للاستقلال بشخصيته، أكثر من إشغال باله بصلاح نفسه والتدبير في حياته، فهو في معارك نفسية جانبية لاهية عن إصلاح الذات.

والبيئة المحيطة لأبناء العلماء والقيادات هي سبب رئيس في هذا الضغط النفسي لتلك الفئة لأنها غالبًا لا تدرك أن مكانة العالم والقيادة ما رزق بها إلا باصطفاء من الله وهداية لها وعمل دؤوب وسعي في الخدمة لدين الله، ليست جينات تورث للأبناء فيخرج الأبن مثل أبيه لمجرد أنه من صلبه!

والشاهد من الكلام محاولة الأب كقيادة ومنصب عدم الضغط على أولاده ليكونوا على نفس مستواه من العلم والحنكة والاكتماء بصلاحتهم وسلوكهم طريق الدين عبر توجيههم بهداية

الإرشاد والدلالة والتوجيه التربوي السليم مع احترام عقلياتهم واختياراتهم طالما لم تخالف الشرع والدين ومحاولة تخفيف الضغط النفسي عليه بعبارات التشجيع وزرع الثقة في نفسه وأبراز استقلاليته في اختيار حياته وقراراته .

### ○ المحاباة:

خطأ فادح يقع فيه العاملون في المجال التربوي في المساجد وحلقات القرآن في الأغلب، وهو محاباة ابن القيادة والمنصب تقربا وتزلفا لأبيه، فيُقرب دون غيره ويتجاوز عنه فيما لا يتجاوز لغيره، مما يُشعر الولد بأن له ميزة عن بقية أقرانه وأن مشرف الحلقة والجلسة يحبو وراءه ووراء رضاه فيصيبه الزهد في الحضور وتنزع منه روح الإجهاد، وذلك لأنه مرحب به على مدار العام يحضر في أي وقت بلا عتاب أو توبيخ لانقطاعه، أضف أن أخطاه مُتجاوز عنها من قبل مربيه .

قَسَمَ اللهُ الشَّفَاعَةَ: شَفَاعَةَ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ، فَقَالَ: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾، ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾، فالشفاعة الحسنة تكون لمرضاة الله ولمصلحة المشفوع له ولا تكون على حساب الآخرين أو صاحب جاه أو قريب، أما السيئة هو الجور والظلم ومحاباة أشخاص على

حساب أشخاص آخرين وفيها من ضررها على الشخص وزملائه والعمل العام.

فالتقويم والتربية يجب أن لا يخضع لمحاباة أو تمييز لشخص مهما بلغت مكانته دون آخر لما فيه من أضرار:

١- إفساد علاقة الأقران ببعضهم لما يحدث من محاباة وتفضيل غير مبرر وغير خاضع لمعيار سوى النسب أو الجاه!، وإيغال الصدور وملؤها بالحقد تجاه من يُحابى.

٢- تغير الصورة الذهنية للمربي في أذهان المتربين للأسوأ؛ حيث يوجد عند المربي تجاوزاً في المعايير التي يكافئ ويقرب بها المرين.

٣- إفساد الشخص المُحابى من قبل المربي لما يجده من سهولة في الحضور والغياب والترحيب به في أي وقت دون توبيخ أو اعتذار، ومن المعروف أن سهولة تحصيل الشيء تكون سبباً في التفريط فيه لاعتقاد صاحبه أنه في أي وقت يمكن تحصيله مرة أخرى.

### ○ تقصير الداعية والقيادة مع أهل بيته:

أغلب الدعاة والقيادات يتعاملون مع أبنائهم أنهم غير مستهدفين بالدعوة لاعتقاده الخاطئ أن التابع التابع!، وأن الابن

لا يسعه سوى اتباع أباه بدون أي جهد في إصلاحه وتربيته وتوجيهه، يتعامل معه كأن الأمر إرث! وأن الابن لا يسعه الخروج على أبيه.

أهل بيت الداعية وأولاده خصيصاً هم أولى من أي فرد آخر في حياة الداعية والقيادي وهم من سيُستل عنهم أمام الله وقد قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، وقال رسول الله ﷺ «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>، فكما تصطحب فلاناً وتخرج معه وتسمع شكواه وتمارس معه الدعوة الفردية، مارسها مع ولدك . . اخرج معه في نزهة خاصة وتجاوز معه واسمع له وافتح قلبك ومارس معه ما تمارسه مع غيره من الدعوة والتحييب في الاستقامة، واستذكر حديث النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي . .»<sup>(٢)</sup>.

**وإطراق طرف العين ليس بنافع**

**إذا كان طرف القلب ليس بمطرق**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيهقي (١٥٦٩٩)، والترمذي (٣٨٩٥). وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/٦٢٦): صحيح.

يقول رسول الله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»<sup>(١)</sup>، أوضح الحديث أن كما لأهلك الأولوية في الإنفاق من أموالك، فمن باب أولى يكن لهم الأولوية في الوقت وإعطائهم الإهتمام الواجب وعدم النظر إليهم على أنهم أمراً دنيوياً لا يجب أن يشغله.



---

(١) مسلم (٩٩٤).

## إِرشَادَات تَرْبَوِيَّةٌ

وبهذا قد انتهينا بفضل الله وكرمه من إحصاء ما كان سبباً في ظهور مشكلة انحراف أبناء الملتزمين مقدمين العلاج والحلول. ولكن بقيت لنا إشارات على الطريق لا يكتمل العلاج إلا بها:

### ○ ١- ولا ينبك مثل خبير «بين النظرية والتطبيق»:

روى المفكر الفرنسي جان جاك روسو في كتابه الطفولة من المهد إلى الرشد: «كانت عندي ست نظريات للتربية ولم يكن عندي أبناء، والآن عندي ستة أبناء وليست عندي نظرية واحدة لتربيتهم!!».

والقصة برغم غرابتها تفيد أن المعرفة النظرية بالتربية لا تكفي وحدها، ولكن لا بد من الممارسة العملية والخبرة الشخصية والتجربة والخطأ، فبعض الآباء يرمون نظريات التربية بالفشل وأن التربويين يتكلمون من أبراج عاجية، ولكن ما رأيت ولا حظته هو

قصر نفس الوالدين في عملية التربية أو التنفيذ بطريقة خاطئة معلقين  
فشلهم على هذا الادعاء الباطل!!

«إن التربية عملية تطوير مستمرة، وليست بالعمل الذي يُعتمد  
فيه على ما علق في ذاكرتنا من تربية والدينا لنا، أو بما يرشدنا إليه  
الأصدقاء والأقرباء، بل تستلزم منا الشعور العميق بالمسؤولية  
وثقلها، وبضرورة الإعداد والتدريب لها، وحفظ الكثير من القواعد  
التربوية وتطبيقها والتسلح بمهارات التربية الصحيحة، نعم هي  
مهارات ليست باليسيرة، تستلزم تعديل سلوكيات الوالدين والمربين  
والمعلمين أنفسهم، وتطوير أدائهم التربوي»<sup>(١)</sup>.

إذا المطلوب:

١- التنفيذ: إما سيكون وقتًا ممتعًا قضيناه في تجميع  
معلومات.

٢- الصبر: وتذكر دائمًا أن الصبر هو مفتاح التربية.

«التربية كالحرب تحتاج إلى الرجل المكيث، وعلاقة المربي  
مع من يربيه تشبه حالة النزال بين المتعاركين، واستعجال الثمرات  
يضر ولا ينفع»<sup>(٢)</sup>.

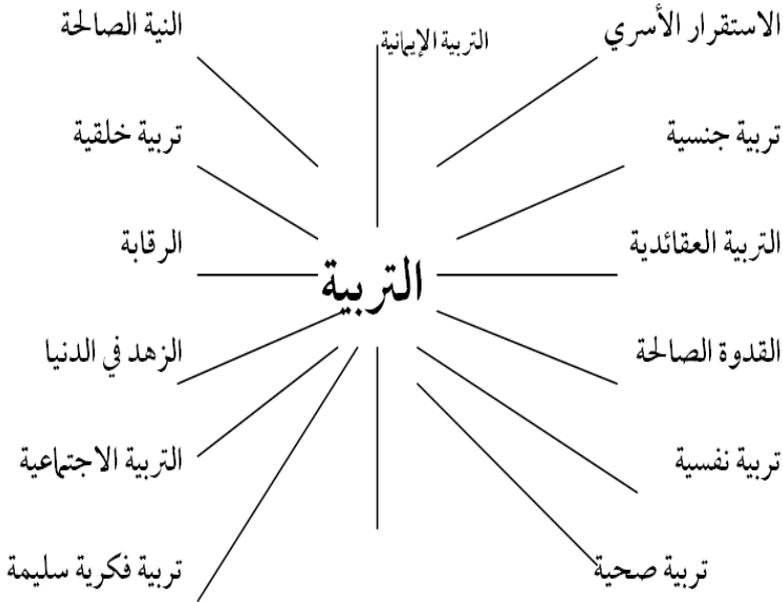
---

(١) «موسوعة التربية العملية للطفل»، هداية الله أحمد شاش ص ٤١٩.

(٢) «دليل التربية الأسرية»، أ. عبد الكريم بكار ص ١٩.

## ○ ٢- تكامل جوانب التربية:

ما فائدة شخص استحضر النية الصالحة في الإنجاب ثم بعد ذلك أهمل الجانب النفسي في التربية؟! أو أنه اهتم بالتربية الإيمانية وكان فظًا غليظًا في تعامله؟! فلا يصلح الاهتمام بجانب تربوي مع إهمال جانب آخر وإلا سيكون البناء مختلاً، يجب أن يستقي الابن من كل ينابيع التربية؛ فالتربية الإيمانية إلى جانب التربية النفسية إلى جانب القدوة الصالحة إلى آخر هذه الجوانب.



### ○ ٣- التربية الجنسية:

حين يعتقد الطفل بأن نوم أمه إلى جانب أبيه كاف لإنجاب الأبناء، أو حين يعتقد بأن القبلة هي السبب وراء الإنجاب، أو حين يصل من أي مكان في الجسد تولد الأطفال، يتحول الأمر عند الأبناء إلى لغز لا يجد له حلاً. فيبدأ الابن باستقاء المعلومات من مصادر مغلوبة وغير مسؤولة، فمن الأصدقاء تارة ومن الكتب تارة حتى يصل إلى حل اللغز ولكن للأسف لا يصل سالمًا، فالمعلومات التي استقبلها منها السليمة ومنها المتردية والنطيحة. إن مسألة التربية الجنسية صارت مهملة وللأسف عند كثير من الآباء والأمهات، وهو ما يحتم علينا الانتباه لتثقيف أبنائنا من هذه الناحية، ف«المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس، وترتبط بالغريزة، وتتصل بالزواج ..»<sup>(١)</sup>.

فالأبوان هما من يحتمل المسؤولية أولاً وأخيراً في هذه الأمور، والله القلب ليحزن عندما يرى أباً تاركاً ولده حائرًا يستقي من هنا تارة ومن هناك تارة، كم قابلت من الشباب لا يعلمون شيئاً

---

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٣٧٣.

عن الاستحداد وقد وجب عليه منذ سنين، وآخر عندما احتلم أراد الذهاب للطبيب!! وثالث لا يعلم معنى الجنابة ولا كيفية التطهر منها، بل ورابع اتصل بي مصدومًا حين علم من صديقه عن كيفية الاتصال الجنسي الذي به يكون الولد . . هذا غيض من فيض وقليل من كثير.

«إن عدم توعية الولد لنموه الجسدي وتطوره وخاصة عندما يصل لمرحلة البلوغ قد يجعله فريسة للمعلومات الخاطئة المشوشة التي قد يسمعها من الآخرين أو الخرافات والأوهام، وقد يعرضه أيضًا لاستغلال من يتعرض له بالأذى أو الاعتداء . . لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للحفاظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا؛ لأننا إذا لم نقم بذلك، فهناك أسئلة ملحة في عقولهم يجب أن يُجاب عليها وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يُملاَ فضولها»<sup>(١)</sup>.

إن الواقع يفرض علينا تحديًا صعبًا، ففي ظل التقدم التكنولوجي الذي نعيشه يستطيع الأبناء بضغطة زر واحدة أن يكونوا في وسط العالم بكل سهولة ويسر، أيضًا ما نعانیه من سهولة

---

(١) «ألف باء الحُب والجنس»، د. ليلى الأحدب ص ١٩٥، ١٩٧ بتصرف.

وانتشار الإباحية في وسائل الإعلام حتى صارت على أجهزة المحمول، يجب علينا أن نراجع أنفسنا ونبدأ في تحمل مسؤولية التوعية الجنسية للأبناء، لكي لا يتم الاستقاء من الخارج بالمعلومات الخاطئة، ولكي نسد باباً ينتظره الشيطان ليدخل منه، ولكي نكمل دورنا كأباء وأمهات ونرعى من سيسألنا الله عنهم. وهذه بعض الوصايا<sup>(١)</sup>:

١- تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل كما بيّنها الله في سورة النور ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨، ٥٩].

٢- من القضايا المهمة التي يجب أن يركز المرابي عليها، ويهتم بها أن يعود في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم ما يحل من

(١) «تربية الأولاد في الإسلام»، عبد الله ناصح علوان ص ٣٧٣ باختصار وتصرف.

النظر إليه وما يحرم، وفي ذلك صلاح أمره، واستقامة أخلاقه إذا شارف البلوغ وبلغ سن التكليف، إضافة لما يتعلق بالنظر إلى العورة.

٣- من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين؛ تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي، ونضجه الجنسي، والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً، فهذا يوجب معرفتهم بالاحتلام وكيفية التطهر من الجنابة، والفرق بين المنى والمذي والودي، إضافة إلى سنن الفطرة المتعلقة بهذا الأمر كالاستحداد وحلق الإبط وإعطائه الحكم الشرعي لها، وكذلك الفتاة يجب أن تُصّارح إذا ذكرت احتلاماً بهذه الأمور إضافة إلى المصارحة بدم الحيض وكيفية التطهر وأحكامه الفقهية، ويراعى في ذلك:

أ- المصارحة بهذه المعلومات قبل حدوثها، وهذه مهمة الوالدين لكي لا يفزع الأبناء حين تحدث هذه التغيرات؛ فكم من فتاة حسبت أن الحيض نزيف؟! وكم من ولد حسب أن نزول المنى منه حين استيقظ من نومه مرضاً؟! أدرك أن هذه المهمة صعبة ولكن كم من شاب وفتاة بات ضحية الحيرة والخوف؟!!

ب- إدراج النصوص الشرعية في إيصال هذه المعلومات لكي تصل إلى ذهن الأبناء أن هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن الإسلام ما ترك شاردة ولا واردة إلا وأشار إليها، وأنه لا حياء في العلم.

٤- المصارحة بأمر الاتصال الجنسي وهي من المحطات الصعبة والمعقدة في التربية عموماً وليس التربية الجنسية وحسب؛ فأسئلة الأبناء في هذه النقطة محرجة للغاية، وللأسف يتم التعامل معها بالتهرب وأحياناً بإجابات غير صحيحة، والذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس وترتبط بالغريزة، وإليك هذه الأدلة:

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦].
- ﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].
- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣].
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

كيفية يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيات وأمثالها إذا لم تتضح لديه من قبل معلمه أو مربيه حقائقها وما يراد منها؟

ولا يمكن أن يقول متبصر عاقل: إن على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لا تمت إلى المعنى المراد بصلة، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها، أو تفسير لمضمونها؛ لأن هذا المسلك غير سليم ويتنافى مع قواعد التربية الإسلامية الأصيلة، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم إلى فهمه وتدبره.

قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا عَلَيْكَ مِيزَانَ الْوِزْنِ أَلَّا تَكُونَ مِنَ الْخَالِفِينَ﴾ [سورة ص: ٢٩].

فعندما يسأل الابن عن العلاقة بين الجنسين فيجب إجابته بما يناسب سنه وعقله دون الكذب عليه، أو أجوبة خاطئة لا تزيد الأمر إلا تعقيداً، فمن الممكن تقريب الأمر له عن طريق شرح طريقة التلقيح في النبات، وأنه لا ثمرة بغير تلقيح كما أنه لا حمل إلا بهذا الاتصال الجنسي، ووضع الأب بذره تجعل الطفل ينمو في بطن الأم، وهكذا حتى تكمل عنده الصورة، كما أن المصارحة في هذا الأمر تختلف من سن لآخر، بل ويجب التوعية ضد الانحرافات

الجنسية وأضرارها وأحكامها، فإن هذا يعد من أعظم الوسائل الإيجابية للبعد عن هذه الانحرافات.

ويجب على الأبوين عند التحدث في هذا الأمر إدراج النصوص الشرعية أن يوصلا الإبن أن هذه الفطرة التي فطر الناس عليها أيضاً «حاول أن تكون إجاباتك بسيطة ومباشرة وصحيحة من غير أن تعقده بتفصيلات علمية فوق فهمه وطاقته، وحاول أن لا تعطيه انطباعاً أن الأمور الجنسية أمر معيب بالضرورة، أو تعطيه الانطباع أنك لا تسمح له بالحديث في مثل هذه المواضيع، وحاول أيضاً من طرفك أن تتكلم معه بالطبيعة التي تتكلم معه فيها في قضايا الحياة الأخرى»<sup>(١)</sup>.

٥- «وهناك خطأ يرتكب ألا وهو الاعتقاد بأن التربية الجنسية هي معلومات تعطى مرة واحدة، دفعة واحدة وينتهي الأمر، وذلك إنما يشير إلى رغبة الوالدين أو المربي في الانتهاء من واجبه المزعج بأسرع وقت، لكن يجب إعطاء المعلومات على دفعات بأشكال متعددة مثلاً عن طريق كتاب، أو درس في المسجد، كي

---

(١) «ألف باء الحب والجنس»، د. ليلى الأحذب ص ٢٢٨.

ترسخ في ذهنه تدريجياً ويتم استيعابها وإدراكها بما يواكب نمو عقله»<sup>(١)</sup>.

وفي نهاية المطاف كان هذا مجرد استعراض بسيط لعنصر تربوي بالغ الأهمية علنا نلتفت له ونسعى في التطبيق لا أن نتركه حبيس الكتب، و«لم يعد هناك أي مكان في وقتنا الحاضر للتحفظ على نقل المفاهيم الجنسية الصحيحة لأولادنا لأننا إذا لم نقوم بذلك، فهناك أسئلة مُلحة في عقولهم يجب أن يجاب عليها، وهناك مساحات واسعة في نفوسهم يجب أن يُملأ فضولها، فلتكن تربيتنا بعيدة عن الفراغات متجنباً للثغرات قدر المستطاع، وإلا حلت المفاهيم الخاطئة في العقول، واستعمرت النفوس، وترسخت في الصدور، مما يجعل اقتلاعها فيما بعد مهمة صعبة جداً، لذلك فإن من الواجب أن نتعد بأولادنا عن الهزات والبراكين التي قد يتعرضون لها إذا لم نبن معلوماتهم في كل نواحي الحياة على أساس راسخ من العلم والإيمان»<sup>(٢)</sup>.

«التربية الجنسية للطفل يجب ألا تترك للصدفة، بل لا بد أن تبدأ في المنزل وتستمر في المدرسة، وعندما يكبر الطفل ويصبح

---

(١) موقع المسلم، مقالة بعنوان: التربية الجنسية.

(٢) «ألف باء الحب والجنس»، د. ليلى الأحمد ص ١٩٧.

في مقتبل سن المراهقة تعطى له معلومات واضحة عن الجنس السليم ومخاطره إذا انصرف الفرد وانساق وراء نزواته»<sup>(١)</sup>.

#### ٤٠- مرحلة المراهقة:

من أخطر مراحل التربية، فهي القنطرة بين الطفولة والرشد، مليئة بالتصرفات الغريبة والاضطرابات، يعتبرها الآباء أزمة ومرحلة عواصف هوجاء وزوابع، الأمر الذي يدفع للكتابة في هذا العنصر هو جهل الوالدين بالتعامل مع الأولاد في هذه المرحلة مع العلم بأنها من أشد المراحل احتياجاً للحذر والوعي في المعاملة وإلا ترتب عليها ما لا يحمد عواقبه.

«المراهقة تشير إلى تلك الفترة التي تبدأ من البلوغ الجنسي حتى الوصول إلى النضج، فالمراهقة إذن تشير إلى فترة طويلة من الزمن وليس لمجرد عارضة زائلة في حياة الإنسان، فالمراهقة عبارة عن مرحلة انتقال من الطفولة إلى الرجولة، وهي تمثل مجموعة من مظاهر النمو التي لا تصل كلها إلى حالة النضج في وقت واحد، وهي مرحلة خطيرة . . بل هي الأخطر في حياة الإنسان»<sup>(٢)</sup>.

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك»، د. مصطفى محمد الطحان ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦.

## خصائص المرحلة:

١- «من الناحية الجسمية تبدأ حالة من النمو السريع قبل سن البلوغ الجنسي بعام، وتستمر على هذا النحو مدة قد تصل إلى عامين أو أكثر، حيث تستطيل عظام الفتى، وتأخذ سمكاً جديداً سريعاً وتأخذ العضلات في التكور والاشتداد، وتبدأ الغدد التناسلية في إفراز الهرمونات الخاصة بها، مما ينتج عنه ظهور الشعر في بعض أجزاء الجسم<sup>(١)</sup> . . ولكن نتيجة للنمو السريع الذي يفوق طاقته قد يصاب المراهق بالكسل والفتور، وينبغي عدم لومه على ذلك بل مساعدته في المرور من هذه المرحلة بسلام؛ فالتوبيخ أو التفرير قد يؤدي إلى نتائج غير سارة».

٢- «يمتاز المراهق من الناحية الانفعالية والشعورية برهافة الإحساس، فهو يثور في كثير من الأحيان لأتفه الأسباب، كما هو شأن الأطفال الصغار، كما أن المراهق يجد نفسه في الفترة الأولى من المراهقة ضعيف التحكم في المظاهر الخارجية لحالته الانفعالية، حيث إنه إذا غضب، أو أثير يصرخ ويرفس ويدفع الأشياء، ويبدو شيء من هذا عند شعوره بالفرح، فهو يقوم

---

(١) «دليل التربية الأسرية»، عبد الكريم بكار ص ١٩٨.

بحركات لا تدل على الاتزان الانفعالي»<sup>(١)</sup> أيضًا يشعر المراهق بالخبجل نتيجة للنمو المفاجئ الذي طرأ على جسده مما يدفعه للاهتمام بنظر المحيطين به، مما يلاحظ أيضًا ميله إلى سلوك التحرر والتمرد ورغبته في مقاومة أي سلطة تمارس عليه.

٣- «عند بدء مرحلة المراهقة يرتفع مستوى الوعي الجماعي، حيث يبدي المراهق حاجة ملحة للانتماء إلى جماعة، ولاسيما حين يلاقي من والديه شيئًا من الضغط والتوتر، وهو يلح على محيطه الاجتماعي بإصدار الموافقة الضمنية على تصرفاته، وعدم الاعتراض عليها، وبما أن هذا ليس ممكنًا دائمًا فإن المراهق يبحث عن مجموعة ضيقة ينتمي إليها، ويشيد بها، حيث يرى فيها النموذج الاجتماعي الأكثر ملاءمة لسنه ووضعه، وهو يخلص لتلك المجموعة أو (الشلة) إخلاصًا شديدًا، ويرى أنها في آرائها وسلوكياتها، تقدم له دعمًا خفيًا ومظاهرة قوية في موقفه تجاه سلطة والديه أو المدرسة»<sup>(٢)</sup>.

٤- قسّم العلماء المراهقة إلى ثلاث مراحل:

مرحلة المراهقة الأولى (١١-١٤) تتميز بتغيرات بيولوجية

سريعة.

---

(١) المصدر السابق ص ١٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠١.

مرحلة المراهقة الوسطى (١٤-١٨) مرحلة اكتمال التغيرات البيولوجية .

مرحلة المراهقة المتأخرة (١٨-٢١) مرحلة ظهور الرشد في التصرفات .

التعامل مع المراهق «ما المطلوب؟» :

«إن مشكلتنا معاشر المربين أننا كثيراً ما نجد أنفسنا عاجزين عن مواكبة التغيرات السريعة التي تطرأ على شخصيات أبنائنا في مرحلة المراهقة، فنعاملهم على أنهم أطفال غير قادرين على تدبر أمورهم كما نسيء فهمهم في بعض الأحيان، فنظن أنهم يناصروننا العدا، أو أنهم فقدوا ولاءهم لأسرهم وبتوا يبحثون عن استقلال تام عنا»<sup>(١)</sup> .

لا يسع الوقت لحصر كل الوسائل في التعامل مع هذه المرحلة ولكن سنستعرضها باختصار:

١- تقدير ما يمر به من تغيير وتطور في البنية الجسمية والعقلية وذلك «أن الآخرين ينتظرون منه سلوكاً ينم عن النضج، فهذا التطور والنمو الجسمي يجعلهم يتوقعون منه نضوجاً في سلوكه

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

العقلي والاجتماعي ، فإذا لم يحسن التصرف كما يريدون كان هدفًا لتقدمهم . . .»<sup>(١)</sup> ، يجب أن نضع المراهق في مكانته الحقيقية فإنه لم يصبح رجلًا وإن كان هو يرى ذلك وهو ليس بطفل ، وإن كانت تصرفاته توحى بذلك .

«من الصعوبات التي نراها لدى الفتیان في هذه المرحلة تتعلق في جزء منها بسبب قصور في التركيب العصبي لدماغهم ، فكلمة : «أنت رجل وهذا لا يليق بك» تعبير غير صحيح أبدًا ، كنا نعتقد أن نمو الدماغ يكتمل مع نهاية مرحلة الطفولة ، لكن الأبحاث التي أجريت في المعهد الوطني للصحة النفسية في أمريكا تشير إلى أن دماغ الفتى بين سن الثالثة عشر وسن العشرين ما زال قاصرًا ، وفي مرحلة النمو والتطور وخاصة تلك المناطق المسؤولة عن اتخاذ القرار والتقييم الصحيح للأمور وضبط النفس والانفعالات»<sup>(٢)</sup> ، نحن لا ندعو إلى التذليل الزائد ولا للمعاملة الصارمة ، ولكن ندعو لتفهم هذه المرحلة الحرجة وأن نكون متوازنين في التعامل معهم .

---

(١) «التربية ودورها في تشكيل السلوك» ، مصطفى محمد الطحان ص ٣٠١ .

(٢) د. ياسر عبد الكريم بكار ، لقاء مع موقع المرربي .

٢- «لا بدّ من أن يحاول الأب معاملة ابنه على أنه صديق له، وأن تحاول الأم معاملة ابنتها على أنها صديقة لها، فيتشجع كل منهما على بثّ همومه وتطلعاته وعلى الحديث عن آرائه العامة في القضايا المختلفة، فتسود الصراحة، ويلقي المراهق عن كاهله كثيرًا من الأعباء التي تقض مضجعه.

إن المراهق كثيرًا ما ينطوي على نفسه، وكثيرًا ما يستحي من التحدث عن بعض الأمور، ومن واجبنا أن نشجعه على الانفتاح والبوح، وأن نقف موقف الحكيم المتفهم لما يصارحنا به»<sup>(١)</sup>.

٣- تلبية حاجته للاستقلال عن طريق تخصيص مبلغ أسبوعي أو شهري لمصروفه الشخصي، كذلك إتاحة الفرصة في اختيار ملابسه وشرائها في ضمن إطار المعروف والمعقول، «المهم أن يشعر أننا مدركون للقدرات الجديدة التي اكتسبها، وأن يشعر أن ثقتنا به تتصاعد كلما شب عن الطوق ودنا من مرحلة الرجولة»<sup>(٢)</sup>.



---

(١) «دليل التربية الأسرية»، أ. عبد الكريم بكار ص ٢٠٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٥.



## الخاتمة

في نهاية المطاف نود أن نكون قد أبلغنا رسالتنا لمعاشر (الملتزمين) في محاولة لرأب الصدع وتجويد المخرجات التربوية للبيت المسلم الحامل لهم دينه وعقيدته، وتجنبيهم هم الصراعات الداخلية للتفرغ للصراعات الخارجية، كما أنها محاولة لتقنين الخسارة البشرية التي لحقت بالتيار الإسلامي بخسارة هذه الفئة بعد أن كان الكل يعوّل عليها فتحًا ونصرًا مبينًا.

البشر هم الأساس الذي يرتكز عليه بقية عناصر القوة والعامل الرئيس في أي معادلة حضارية مرت وستأتي، وعليه فإن إهمالنا لقضية التربية نقدم صفقة رابحة لأعدائنا لما نخسره من مواهب وإمكانات بشرية وتقديم نماذج تربوية هزيلة من بيوتنا لا تحمل همًا ولا تعرف دينها، لذا لزم علينا خلع عباءة الجهل واستبدالها بعباءة

العلم، واستبدال الخبرات العجاف المبنية على الخبرات الخاطئة  
والمعلومات المتردية بالخبرات السمان القائمة على العلم والوعي  
والخبرة الصحيحة واستعن بالصبر بعد توكلك على الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين.



## الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة	٥
مقدمة	٧
تمهيد	١١
الاختلال الأسري	١٩
اختلال النية	٢٧
عدم الالتزام بهديه ﷺ	٣٥
الأمية التربوية	٤١
إهمال التربية العقدية المبكرة	٤٩
إهمال التربية النفسية	٦٠
غياب الإقناع والحوار	٨٣
القسوة	١٠١
القدوة	١٢٦

الموضوع	الصفحة
البيئة المحيطة .....	١٣٩
بل تؤثر الحياة الدنيا .....	١٥٣
أبناء العلماء والقيادات .....	١٦٣
إرشادات تربوية .....	١٦٩
الخاتمة .....	١٨٧



تصحيح لغوي: جهاد أبو زينة

إخراج فني: حسام الدين قاسم